


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES
32101 010121596

Khalili

منشورات
مطبعة الغري الحديثة في النجف

(١٠)

محمد الخليلي

طب الإمام الصادق (ع)

« لو اقتصد الناس في المطعم
لاستقامت ابدانهم »
الامام الصادق (ع)

﴿ طبع على نفقة صاحب ﴾
مطبعة الغري الحديثة في النجف
عبد الرضا الحاج محمد علي المطبعي

﴿ الطبعة الأولى ﴾

١٩٥٥



الإهداء

الى من كونته الارادة الالهية فاحسنت ابداءها في ما كونت فكان مثلا أعلى للخلق الاسلامي الرفيع .

الى من جعله المكون المبدع محلا لثقل الامامة وناموساً من قدرته

الى ينبوع الحكمة الالهية .

الى من استقى علمه من منبع الرسالة عن آبائه الراسخين في العلم .

الى من افاض على الانسانية شتى العلوم والمعارف ليجعلها في ارفع درجات السعادة الدنيوية والاخروية .

الى الامام « جعفر بن محمد الصادق » عليه وعلى آبائه التحية والسلام اقدم ما يتفق ومقدوري راجياً ان ينال عنده الزلفى فيشملني بشفاعته عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟

النجف　　　　محمد الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين



جدير بمن اراد الكتابة عن حياة الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) أو أن يبحث في ناحية من نواحيها الكثيرة سواء أكانت علمية أم دينية ، فلسفية أم تربوية ، أخلاقية أم أدبية ، أن يرى السبيل أمامه جلياً واضحاً ، والمجال فيها متسعاً قريب الغاية . ذلك لما انطوت عليه تلك النفسية السامية من العلوم الآلهية ، والمعارف الجليلة الاسلامية ، والفلسفة العالية ، والأدب الجم إلى غير ذلك مما تمثلت في شخصيته الفذة من مكارم الاخلاق ومثل الفضيلة والانسانية الكاملة ، التي لم تقف دون بيانها يراعة الكاتب أو المؤرخ ، ولم يحتج أي أديب أو شاعر إلى تأمل كثير ، أو إجهاد فكر متزايد في نظمها أو الكتابة عنها مجملا أو مفصلا .

بهذه الفكرة المسلمة عندي ، وهذا الخيال الواسع لدي ، راقني البحث والتحدث عن شعاع من أشعة تلك الحياة الجبارة والكتابة عن ناحية من نواحي هذه الشخصية العظيمة ، وجذبتني تلك السهولة المتصورة إلى أن طمعت أن أكتب ، وأن أشبع الموضوع بحثاً فاعطيه حقه من البيان والتوضيح لاسيما وأن مثل هذا الموضوع ، هو من مهنتي ومهمتي ، أعني الكلام عن طب الامام عليه السلام .

نعم لقد كنت أراه بحثاً واضحاً لاغموض فيه ، وموضوعاً سهلا يجري القلم فيه دون ما توقف كثير أو تأمل زائد . بيد أني عند ما اندفعت للكتابة

وحاولت الشروع في الموضـــوع ، شعرت بخطورة الموقف ، وأحسست بصعوبة البحث وادركت عسر تناول الغاية التي كنت أتوخاها من تلك الكتابة لذلك فقد أصبحت بين اقدام واحجام ، وترديد وتصميم ماسكاً باليراعة ، مفكراً في الطريق التي أسلكها لبلوغ المقصد ، متفحصاً عن الباب الذي افتحه للدخول في البحث . واخيراً وبعد لأي ، أرتأيت أن أذكر أولا نبذة قصيرة عن تأريخ الطب عند العرب في الجزيرة ، وإنه كيف تدرج من مهده حتى درج إلى الجزيرة العربية ، ثم اخذ يتربى هناك في احضان العروبة ، ويترعرع في حجر الاسلام ، وينمو في هـــاتيك الربوع العامرة بالعقول السليمة ، والأفكار المستقيمة ، والفطرة المعتدلة الصافية . لأجعلها كمقدمـة للبحث حتى يتسنى للقارىء الكريم ان يقف على مبلغ توسعه في عصر الامام عليه السلام عن بصيرة وخبرة كاملة ، ولتكون كتمهيد واف للاطلاع على كامل معرفة الامام (ع) بهذا العلم الجليل ، وما أبداه من الحكم البالغة فيه ، دون أي تعليم او دراسة إلا ما اخذه عن آبائه واجداده عليهم السلام عن النبي (ص) عن جبرائيل « ع » عن الله تعالى .

وسوف نثبت لك ذلك فيما يلي من مباحث هذه الرسالة ، واليك ما أردنا تقديمه

تاريخ الطب ومبدأ ظهوره :

لقد تضاربت أقوال المؤرخين واختلف الحكماء والاطباء ، في ذكر بدء ظهور هذا العلم الجليل ، وكيفية حدوثه في العالم ، مما اوقف الباحث موقف الحيرة والشك ، فلا يدري كيف يبدي الحقيقة ، وكيف يظهر للقارىء بمظهر الكاتب الأمين ، والمؤلف المنصف .

فقد نسب البعض اكتشافه اواختراعه اولا إلى الكلدانيين ، وآخرون

الى سحرة اليمن ، وغيرهم إلى كهنة بابل ، وا كثرهم الى قدماء اليونانيين ، قال ابن ابي اصيبعة الطبيب المؤرخ في كتابه ـ عيون الأنباء :

إن اختراع هذا الفن لايجوز نسبته الى بلد خاص ، او مملكة معينة ، او قوم مخصوصين . اذ من الممكن وجوده عند امة قد انقرضت ، ولم يبق من آثارها شيء ، ثم ظهر عند قوم آخرين ، ثم انحط عندهم حتى نسي ثم ظهر على اساس هؤلاء لدى غيرهم فنسب اليهم اختراعه أو ا كتشافه انتهى .

وقال غيره من المؤرخين : إن الطب من جملة العلوم التي وضع اساسها الكلدان و كهنة بابل ، وانهم هم اول من بحث في علاج الأمراض ، فكانوا يضعون مرضاهم في الأزقة ومعابر الطرق ، حتى اذا مر بهم احد قد اصيب بذلك الداء وشفي اعلمهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك على الواح يعلقونها في الهيا كل ، فلذلك كان التطبب عندهم من جملة اعمال الكهنة وخصائصهم ، ومن الكلدان اخذته سائر الامم القديمة ومن جملتها العرب ولذا تراه متشابهاً عند ا كثر الأمم في مصر وفينيقية وآشور ثم تناولته الأمة اليونانية ، فاتقنوه إحكاماً وأحكاما ورتبوا ابوابه وفصوله حتى جعلوه علماً له ابتداء وله انتهاء ثم اخذته عنهم الفرس والروم .

الطب عند العرب :

أما العرب الذين كانو معاصرين لتلك الدول ، فقد اقتبسوا منهم بحكم المجاورة والمخالطة شيئاً من الطب أضافوه إلى ما حصلوه من الكلدان وإلى ما ستنبطوه هم أنفسهم بالفطرة والذكاء والتجارب .

وقد ذكر التاريخ : أن أول من تعاطى الطب من العرب بعد الكهنة ، هم جماعة ممن خالطوا الروم والفرس في القرن السادس الميلادي ، وقبل ظهور

الاسلام بقليل واخذوا العلم عنهم . وكان أشهرهم يومذاك رجل من تيم الرباب يقال له « ابن حذيم « ١ » » وهو الذي ضرب به المثل في الحذاقة والطب ، فقيل فيه : اطب من ابن حذيم ، وقال فيه الشاعر : أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلي فانني بصير بما أعيى النطاسي حذيما (٢)

ثم جاء بعده ـ الحارث بن كلده الثقفي (٣) ـ طبيب العرب الشهير المتوفى سنة ٥٠ هـ وهو خريج مدرسة « جند يسابور » (٤) المعروفة في خوزستان الفرس ، والشهيرة عند العرب (بمعهد الطب الاسلامي) . فقد كانت العرب تعرف هذه المدرسة وتقدرها ، لاسيما بعد فتح الاسلام لبلاد الفرس على عهد الخليفة الثاني سنة ١٩هـ . وقد كان الحارث هذا يتعاطى الطب في الطائف بشهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ، وكان النبي (ص) يأمر من

(١) راجع ترجمته في كتابنا معجم أدباء الاطباء ج ١ .

(٢) حذف لفظ ابن اعتماداً على الشهرة ولأستقامة الوزن .

(٣) راجع ترجمته في معجمنا ج ١ .

(٤) جند يسابور مدينة في خوزستان في الجنوب الغربي من ايران بناها كسرى الاول سابور ابن اردشير الساماني سنة ٣٥٠ م فنسبت اليه وكان قد اسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وقد أفتتحها المسلمون أيام الخليفة الثاني سنة ١٩ هـ .

وكانت فيها مدرسة عظيمة يدرس فيها الطب وساير العلوم المختلفة ، وكان القائم بتدريسها نصارى النسطور « النسطوريون » الذين حملوا اليها مؤلفات اليونان الطبيه والفلسفية وترجموا الكتب الى السريانية التي كانت لغة التدريس في تلك المدرسة . وقد اشتهرت هذه المدرسة ونبغ منها أطباء معروفون خدموا الصناعة والعلم . وهم الذين ادخلوا الطب الى العراق زمن الخليفة العباسي المنصور كما سنعرفه مفصلا في بعض فصول هذه الرسالة .

كانت به علة أن يأتيه ويستوصفه .

ثم كان بعده « ابن زومية » الجراح التميمي . ثم النضر بن الحارث بن كلدة الذي يعد من أقدم من اشتغل من العرب في العلوم الدخيلة من طب وغيره وكان هو في عصر النبي « ص » أيضاً ، ولكنه لما كان يجاري ابا سفيان بعداوة النبي « ص » لانه ثقفي وبنو ثقيف حلفاء بني امية ، أمر النبي « ص » عند ما اسره المسلمون في بدر بقتله ، فقتل وذهب بموته علمه وطبه ، ولم يكن له مؤلف او نقل يعلمنا بمبلغ علمه وطبه .

ثم ذهب الطب من العرب ، وخفي عندهم ردحاً من الزمن ، وذلك منذ ظهور الدعوة الاسلامية حتى شطر من الدولة الاموية . إذ المسلمون كانوا حينذاك يعتقدون ، أن الاسلام يهـــدم ما قبله ، ولا ينبغي أن يتلى غير القرآن ، أو ان يدرس غير العلوم القرآنية ، فذهلوا عن ساير العلوم بما فيها الطب ، لانشغالهم بانشاء الدولة الاسلامية ، ونشر الدعوة المحمدية وقمع الشرك ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة عليها .

ولكن لما اتسع نطاق الاسلام ، وعلا سلطانه ، وبلغ الدين الحنيف ذروته التي خضعت لها الامم ، وذلت لها الملوك ، لم يقتنع المسلمون ببسط سلطانهم على شرق البسيطة وغربها دون أن يلجوا ابواب العلوم ، فيأخذوا من كل قطر محاسنه ، ويستلبوا كنوزه العلمية . وقد كان للطب عندهم اوفر نصيب من تلك العناية وذلك الاهتمام ، حيث اقتبسوه أولا ، ورغبوا اليه قبل ساير العلوم الدخيلة التي دخلت الجزيرة العربية يومذاك .

وقد ذكر لنا التاريخ واخبرتنـا التراجم ، أن اول من فطن الى ذلك واول من اشتغل في نقل الطب وساير العلوم الدخيلة الاخرى مثل الكيميا والنجوم الى اللغة العربية ، بعد تلك الفترة الطويلة ، هو خالد بن يزيد بن معاوية

الأموي المدعو عند العرب (بحكيم آل مروان) والمتوفى سنة ٨٥ هـ فانه بعد ما غلبه بنو مروان على الخلافة بعد أخيه معاوية وقدكان رجلاطموحاً ذكياً ، انصرف الى اكتساب المعالي عن طريق العلم ، ولأجل ذلك فقد استقدم جماعة من علماء الروم ، منهم الراهب الرومي (موريانوس) وطلب اليه أن يعلمه الكيميا ، ولما تعلمها أمر بنقلها الى العربية ، فنقلها له رجل يدعى (إصطفن) . فكان هذا أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة .

ثم جاء بعد إصطفن (ماسرجويه) فنقل كتبا كثيرة من الطب والفلسفة ، فكان لبني أمية بعض الآثار العلمية في الاسلام .

ثم أصاب الطب بعد (خالد) فترة دامت إلى أواخر الأمويين وإلى عصر السفاح من بني العباس ، حتى إذا ما افضت الخلافة إلى اخيه ابي جعفر المنصور سنة ١٣٦ هـ بانت له طلائع ، وظهرت لقدومه بشائر .

فلقد كان المنصور كلفا باعمال التنجيم شغوفا بالعمل باقوال المنجمين في خلافته وقبلها حتى لم يكن يعمل عملا إلا بعد استشارة منجمه الخاص (نوبخت) الفارسي وابنه (ابي سهل) ولقد ترجموا له كثيراً من كتب التنجيم والفلك ثم ازدادت رغبة المنصور لطلب العلوم الدخيلة وبحكم المثل المشهور (الناس على دين ملوكها) رغب كثير من الناس إلى طلب تلك العلوم وتوسعوا في درسها والبحث عنها وفيها حتى طلب المنصور من ملك الروم ان يبعث اليه ببعض كتب التعاليم فبعث اليه بجملة كتب في علوم شتى ومن جملتها كتاب اقليدس في الهندسة وبعض كتب الطبيعيات والمجسطي وكثير من كتب الطب فاهتم العرب بنقلها الى العربية واخذوا يتهافتون عليها تهافت الفراش ويردون مناهلها ورود الظمآن إلى الماء الزلال .

وقد كان علم الطب من بين تلك العلوم اكثرها اهتماما وعناية لديهم وقد

ساعد على هذا الأمر يومذاك ان المنصور اصيب بمرض في معدته انقطعت من أجله شهوته للطعام ولم ينفعه العلاج بالرغم من عناية اطباء مصره واهتمامهم في امره فطلب الى وزيره الربيع ان يفحص له عن طبيب حاذق يرجع اليه فى علاج ما كان يجده من ألم ولما اخذ الربيع يفتش عما طلب اليه الخليفة ارشد الى الطبيب (جورجيس) النصراني رئيس مارستان او مدرسة (جند يسابور) وكان ماهراً حاذقا فى الطب كثير التأليف والتصنيف فيه باللغة السريانية ، فبعث اليه المنصور من احضره له ، بعد ان خلف ولده (بختيشوع) مكانه ، ولما ورد على الخليفة اكرمه ؛ ووقع عنده موقعاً حسناً لما رأى فيه من الوقار ورزانة العقل ، لاسيما وقد ابل عن مرضه إبلالا سريعاً ، وشفي من علته شفاء عاجلا كاملا بعلاجه .

ولما اراد الرجوع إلى بلده ووطنه منعه الخليفة ، واغدق عليه الاموال والعطايا الوافرة طمعاً فى ابقائه ، فبقي فى بغداد يطلب المرضى مدة طويلة ، ثم ترجم إلى العربية كثيراً من كتبه الطبية ومن كتب غيره فى الطب .

وبهذه الحركة من (جرجيس) اخذ الكثير من الأطباء غيره فى بغداد ايضاً ينقل ويترجم من السريانية إلى العربية وذلك بعناية المنصور وبذله الاموال للمترجين والناقلين لاسيما فى الطب . فاتسع نطاق الطب فى بغداد وتكاثرت رواده ووراده ، وراجت التآليف ونبغ كثير من نطس الاطباء وشاعت عنهم المعاجز الطبية الكثيرة .

ولما أشتهرت مساعدة المنصور وساير الأمراء والمثرين من أهل بغداد لاصحاب العلوم ، رغب الكثير من أطباء (جنديسابور) بالانتقال الى بغداد — بلد العلم والمال — وأرسل الطبيب (جرجيس) على ولده (بختيشوع) بأمر الخليفة ، ثم جاء بعده (ماسوية) أبو يوحنا ثم أعقبه يوحنا وهكذا أخذت

الاطباء تتقاطر وتتوارد من سائر الأقطار إلى دار السلام ، حتى أصبحت دار الخلافة (بغداد) في عصر المنصور ، وهو العصر الذي عاش فيه ـ الامام الصادق (ع) ـ كعبة العلم و مقصد رواد الفضل والادب ومقر نقلة العلوم والفنون وعلى الاخص الطب الذي شاع تدريسه وكثر المعالجون به ، حتى قصدهم المرضى من كل حدب وصوب ، للاستشفاء والعلاج .

أما أبو عبد الله الصادق عليه السلام ، فقد كان ناديه في ذلك العصر مهوى قلوب رواد الفضل والفضيلة ، والمدرسة الكبرى لكل علم وفن وفلسفة وأدب ، إذ كان عليه السلام يلقي فيه على أصحابه وتلامذته والمنتهلين من بحر علومه من كل مايشفي غليل القلوب الصادية ويروي النفوس المتعطشة المتشوقة إلى طلب المعارف السامية دروساً بليغة لم تكن تدركها عقول علماء ذلك الجيل لولاه ، ولم تقف على أسرارها ـ لو لم يوضحها لهم ـ فحول الحكماء في ذلك العصر .

ونظرة واحدة في كتاب توحيد المفضل (١) وتأمل بسيط في بعض مناظراته الطبية مع أطباء عصره يكفيانك دليلا على وفور علمه الغزير وكامل معرفته بهذا العلم الجليل (علم الطب) ثم ينبئانك أن أقواله القيمة وكلماته الحكيمة في الطب لم تكشف حقيقتها ، ولم يدرك مغزاها أطباء عصره كما اكتشفت بعد عدة قرون ، حيث تدرج الفكر البشري مرتقياً — حسب نظرية النشوء والارتقاء — وأخذت افكار نطس الأطباء وعقول جهابذة العلماء والحكماء تنمو بالتجارب ، وتتقدم بالاكتشافات ، حتى بلغت عصرنا الحاضر ، عصر النور والعلم والاختراع ، فادركت أسرار كلامه ، ووقفت

(١) مجموعة محاضرات القاها الامام الصادق (ع) على تلميذه المفضل ابن عمر في إثبات التوحيد .

على مكنون أقواله .

وإليك فيما يلي من الفصول الآتية بعض ما وصلنا اليه من كلامه (ع) في الطب وقليلا من كثير مماذكرته الكتب وأخبرتنا به الأحاديث الصحيحة المسندة من و صفاته الطبية و مناظراته الدالة على معرفته الكاملة في أصول الطب وفروعه .

(طب الامام عليه السلام)

تمهيد :

هبط القرآن الكريم على صاحب الرسالة العامة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بكل مايصلح هذه البشرية في كافة نواحيها الحيوية فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يفرط في شيء مما تحتاجه هذه الحياة إلا عالجه ولم يهمل جانباً من جوانب إصلاحها إلا أبانه ، ملائماً لكل ظرف من ظروفها موافقاً لكل دور من أدوار حياة الانسان ، في أجياله المتعاقبة وعصوره المتتالية .

فهو قانون عالمي عام ، وناموس إصلاحي شامل ، ومنهاج سماوي حكيم أرسله اللطيف الخبير ، بواسطة أصدق خلقه لاسعاد هذا الانسان الجاهل وتقويم ما اعوج من طباعه ، وانتشاله من هوة الهمجية إلى مرتع ذروة الراحةوالهناء . فكان من الضروري ـ نظراً لهذه الغاية السامية ـ أن يجيء شاملا بعنايته الاصلاحية كل ناحية من مناحي الحياة الانسانية ليسير كل حي في طريقه المستقيم إلى السعادة ، فيؤدي واجبه من الطاعة والعبادة .

وهكذا فقد جاء القرآن الحكيم ، وفيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين حاوياً من الكنوز العلمية ، والارشادات السماوية ما لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم ممن من الله عليهم بمعرفتها واختارهم للاطلاع عليها وخصهم دون خلقه بها فجعلهم أدلاء على الخير ، ومصابيح يهتدى بهم نحو سبيل الحياة السعيدة.

ولما كانت التكاليف السماوية لم تشرع إلا لسليم العقل ، ولم يكن العقل السليم إلا في الجسم السليم ، كان من الحكمة واللطف الالهي أن يلحظ القرآن هذه الناحية المهمة من الانسان ، أعني صحة الجسم ملاحظة خاصة ، وأن يهتم بها اهتماماً لا يقل عن الاهتمام بالتكاليف الشرعية نفسها لتوقفها عليها .

ولأجله فقد ذكر الكتاب المجيد كل أسس الطب ودعائم الصحة في آية واحدة ترجع اليها خلاصة أفكار الفلاسفة والحكماء طيلة قرون عدة وتقف عندها تجارب العلماء ، والاطباء حتى في هذا العصر ، عصر العلم والاختراع وهي قوله تعالى : يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لايحب المسرفين (١) .

فان كافة الأطباء قد أجمعوا بعد التحقيق العلمي المستمر ، والتجارب المتعاقبة على أن مدار صحة الاجسام ودعامة سلامتها ، هو الاعتدال في الطعام وأن هذا الاعتدال إذا ما تعدى إلى الافراط او الاسراف ، أصبح وبالاً على البدن وفتح باباً واسعاً للفتك بالاجسام والنفوس . وما هذا النتاج العلمي الذي يفخر به الطب في تقدمه إلا مؤدي هذه الكلمات الثلاث : كلوا. واشربوا. ولا تسرفوا . حيث جمعت في طيها جميع أسس علم حفظ الصحة وخلاصة نواميسه

أما النبي الكريم صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله فقد وردت عنه من التعاليم والارشادات الصحية ما تفوق حد الحصر ، وكلها أصول ترتكز

---

(١) الاعراف : ٢٩

عليها قواعد هذا العلم وتدعم بها أركانه مثل قوله ﴿ص﴾ مشيراً الى أعظم نقطة يتطلبها علماء هذاالفن في ابحاثهم وهي : النظافةوالرياضة العقلية والبدنيه حيث يقول : بئس العبد القاذورة (١)

كل لهو باطل إلا ثلاث : تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته امرأته فانه حق (٢) روحوا القلوب ساعة بعد ساعة (٣)

كما كان (ص) يقول وهو حديث مشهور : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ماعود .

وكقوله ﴿ ص ﴾ : تداووا فما انزل الله داء إلا انزل معه الدواء إلا السام (٤) فانه لا دواء له ﴿ ٥ ﴾

وقوله (ص) : لا تكرهوامرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم (٦)

وقوله (ص) في الحمى : أطفئوا حماكم بالماء (٧)

وكان (ص) اذا وعك دعا بماء فأدخل فيه يده (٨)

وعنه ﴿ ص ﴾ : أن قوما من الانصار قالوا له : يا رسول الله . ان

وعنه (ص) : أن قوماً من الانصار قالوا له : يارسول الله . إن لنا جاراً يشتكي بطنه أفتأذن لنا أن نداويه ؟ قال (ص) بماذا تداوونه ؟ قالوا : يهودي ههنا يعالج من هذه العلة . قال ﴿ص﴾ : بماذا ؟ قالوا يشق بطنه فيستخرج منه شيئاً ، فكره ذلك رسول الله ولم يجبهم فعاودوه مرتين أو ثلاث ، فقال (ص) : افعلوا ما شئتم . فدعوااليهودي فشق بطنه ونزع منه

---

(١) دعائم الاسلام المخطوطة للقاضي النعمان المصري المتوفي ٣٦٣
(٢) الفصول المهمة للحر العاملي (٣) مجلة الدكتور المصرية
(٤) الموت (٥) دعائم الاسلام (٦) دعائم الاسلام (٧) دعائم الاسلام
(٨) متفق عليه بين الطرفين

رجراجاً كثيراً ثم غسل بطنه ، ثم خاطـــه وداواه فصح واخبر النبي بذلك فقال : ان الذي خلق الأدواء جعل لها دواء ، وإن خير الدواء الحجامـة والفصاد والحبيبة السوداء « الشونيز » (١)

أقول : وهذا الحـــديث الشريف يعطينا درساً عن قدم فكرة العمل الجراحي في العلاج ، وانه لا حداثه له ، وانه آخر الدواء كالكي لا يحسن التسرع اليه وان لا وازع عنه في الشرع المقدس .

وأما صنو النبي (ص) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿ع﴾ فينم عن اعتنائه البالغ بهذا الشأن قوله المشهور : العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان (٢)

وقوله ﴿ع﴾ بلفظ ابن شعبة في تحف العقول ص٤٨ : العلم ثلاثة الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان . وقوله ﴿ع﴾ بلفظ الكراجكي في جواهره : العلوم أربعة . الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان .

وله عليه السلام كلمات قيمة في جوامع علم الابدان كقوله (ع) اكسروا حر الحمى بالبنفسج والماء البارد (٣) وقوله (ع) لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء (٤) .

وقوله لابنه الحسن عليهما السلام : يابني ألا أعلمك اربع كلمات تستغني بها عن الطب فقال (ع) بلى . قال لا تجلس على الطعام الا وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام الا وانت تشتهيه ، وجـــود المضغ ، واذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء . فاذا استعملت هذه استغنيت عن الطب « ٥ »

---

(١) دعائم الاسلام (٢) حديث مشهور لم أقف على مصدره .
(٣) كشف الأخطار لشمس الدين ابن محمد الحسيني .
(٤) كشف الأخطار . (٥) خصال الصدوق .

وقوله ﴿ع﴾ من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليؤخر العشاء ويقل غشيان النساء وليخفف الرداء « الدين » « ١ » .

وإن الطف مارأيت له عليه السلام من المواقف الطبية الكريمة ما أخرجه رجال الحديث من الفريقين ، وقد ذكره من رجال أهل السنة : أسعد ابن ابراهيم الأرديلي المالكي ، باسناده عن عمار بن ياسر وزيد ابن أرقم قالا :

كنا بين يدي أمير المؤمنين « ع » واذا بزعقة عظيمة ، وكان على دكة القضاء فقال « ع » : ياعمار إئت بمن على الباب قال فخرجت واذا على الباب امرأة في قبة على جمل ، وهي تشتكي وتصيح : ياغياث المستغيثين اليك توجهت وبوليك توسلت ، فبيض وجهي ، وفرج عني كربتي . قال عمار وكان حولها الف فارس بسيوف مسلولة ، وقوم لها وقوم عليها فقلت أجيبوا أمير المؤمنين «ع» فنزلت المرأة ، ودخل القوم معها المسجد واجتمع اهل الكوفة . فقام امير المؤمنين «ع» وقال : سلوني مابدا لكم يااهل الشام فنهض من بينهم شيخ وقال : يامولاي هذه الجاريـة ابنتي ، وقد خطبها ملوك العرب وقد نكست راسي بين عشيرتي ، لأنها عاتق حامل ، فاكشف هذه الغمة .

فقـــال اميرالمؤمنين (ع) : ما تقولين ياجارية ؟ قالت يامولاي : أما قوله إني عاتق فقـــد صدق ، واما قوله إني حامل فوحقك يامولاي ما علمت من نفسي خيانة قط .

فصعد المنبر وقال (ع) : علي بداية الكوفة ، فجاءت إمرأة تسمى « لبناء » وهي قابلة اهل الكوفة ، فقال لها اضربي بينك وبين الناس حجابا وانظري هذه الجارية ، عاتق حامل أم لا . ففعلت ما امرها « ع » ثم خرجت وقالت : نعم يامولاي هي عاتق حامل . فقال « ع » من منكم يقدر على قطعة

« ١ » كشف الاخطار

ثلج في هذه الساعة ؟ فقال ابو الجارية : الثلج في بلادنا كثير ولكن لا نقدر عليه ههنا ، قال عمار : فمد يده من اعلا منبره وردها واذا فيها قطعة من الثلج «١» يقطر الماء منها ثم قال : يا داية خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي بالجارية من المسجد واتركي تحتها طستا وضعي هذه القطعة مما يلي الفرج ، فسترين علقة وزنها سبعمائة وخمسون درهماً ففعلت ورجعت بالجارية والعلقة اليه وكانت كما قال «ع» ثم قال لابي الجارية : خذ ابنتك فوالله ما زنت ولكن دخلت الموضع الذي فيه الماء فدخلت هذه العلقة في جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها «٢» .

ومن لطائف ما وجدناه لأمير المؤمنين «ع» ايضاً ما رواه اليافعي في روض الرياحين ص ٤٢ قال : مر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في بعض شوارع البصرة ، فاذا هو بحلقة كبيرة والناس حولها يمدون اليها الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق فمضى اليهم لينظر ما سبب اجتماعهم فاذا فيهم شاب من احسن الشباب نقي الثياب ، عليه هيبة ووقار ، وسكينة الأخيار ، وهو جالس على كرسي ، والناس يأتونه بقوارير من الماء «٣» وهو ينظر في دليل المرضى «٤» ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من انواع الدواء

«١» أقول : لاغرابة في مثل هذا بعد ما قص علينا القرآن الكريم من قصة آصف بن برخيا وقوله لسليمان «ع» لما استحضر عرش بلقيس عنده : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك : وشتان بين ابن برخيا ومولانا أمير المؤمنين «ع» فان ذاك عنده علم من الكتاب وهذا عنده علم الكتاب كله

«٢» بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٤ ص ٥٢٥ .

«٣» المراد من الماء ههنا هو البول من المريض .

«٤» دليل المرضى أي بولهم .

فتقدم اليه (ع) وقال : السلام عليك ايها الطبيب ورحمة الله وبركاته ، هل عندك شيء من ادوية الذنوب ؟ فقد أعيي الناس دواؤها يرحمك الله فاطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ولم يتكلم فناداه الامام (ع) ثانيـة فلم يتكلم ، فناداه ثالثة كذلك فرفع الطبيب رأسه بعـد ما رد السلام وقال او تعرف انت ادوية الذنوب بارك الله فيك ؟ قال « ع » نعم قال صف وبالله التوفيق

فقال (ع) : تعمد إلى بستان الايمان ، فتأخذ منه عروق النية ، وحب الندامة وورق التدبر ، وبزر الورع ، وثمر الفقه ، واغصان اليقين ، ولب الاخلاص وقشور الاجتهاد ، وعروق التوكل واكمام الاعتبار وسيقان الأنابة ، وترياق التواضع ، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر وفهم وافر بأنامل التصديق وكف التوفيق ، ثم تضعها في طبق التحقيق ، ثم تغسلها بماء الدموع ، ثم تضعها في قدر الرجاء ، ثم توقد عليها بنار الشوق ، حتى ترغى زبد الحكمة ثم تفرغها في صحاف الرضا ، وتروح عليها بمراوح الاستغفار ، ينعقد لك من ذلك شربة جيدة ثم تشربها في مكان لا يراك فيه احد إلا الله تعالى فان ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب ، فانشأ الطبيب يقول :

ياخاطب الحوراء في خدرها　　شمر فتقوى الله من مهرها
وكن مجداً لا تكن وانياً　　وجاهد النفس على صبرها

إلى غير ذلك مما يدلنا على ما للدين الحنيف من العناية بالصحة وما لدى النبي « ص » واوصيائه من المعرفة الالهية والكنوز القرآنية التي اختارهم لمعرفتها فلقد كان النبي « ص » في حياته الشريفة هو الواسطة الكبرى بين الخالق وخلقه ولما رفعه الله اليه ، ابى لطفه العام وكرمه الشامل أن يترك هذه الناس بعد النبي « ص » سدى دون ان ينصب لهم ولياً مرشداً يكشف لهم عن تلك الكنوز ، ويبث فيهم تلك التعاليم الصالحة المصلحة والارشادات

الحكيمة ، فكانت اوصياؤه وابناؤه هم حملة تلك العلوم وامناء الله في أرضه على مكنون علمه وغامض سره ، ولا غرابة فقد اخذوا ذلك عن جدهم النبي « ص » عن جبرئيل (ع) عن الله تعالى .

ولقد ظهر في الناس من تعاليمهم وإرشاداتهم ما دل على كامل معرفتهم وتمام اطلاعهم على مختلف العلوم لاسيما علم الطب ، حتى جمع غير واحد من العلماء جملة من اقوالهم فالفوا كتبا قيمة باسم طب النبي ، وطب الأئمة وطب الرضا ، إلى غيرها مما ملأت الكتب وتواترت به الاحاديث الصحيحة وفي مقدمتها ـ الرسالة الذهبية أو المذهبة ـ التي ألفها الامام ، علي بن موسى الرضا (ع) ، بطلب المأمون الخليفة العباسي منه (١) وفيها فوائد جمة من قواعد الطب وأصول الصحة ، وقد امر المأمون ان تكتب بالذهب ولذلك سميت بالذهبية او المذهبة ، ولم يكن للخليفة عنها غنى برجال الفن المتصلين به ، نظراء حنا بن ماسويه ، وجبرائيل ابن بختيشوع ، وصالح بن سلهمة الهندي وغيرهم من اطباء البلاط العباسي (٢) .

أما الامام الصادق (ع) فقد كان عصره عصر ابتداء النهضة العلمية في الجزيرة حيث اتجهت الافكار نحو طلب العلوم واقبل الناس على اكتساب المعارف . وكان الوقت ملائما والظروف مساعدة له على بث مالديه من تلكم الكنوز القرآنية الموروثة ، لذلك فقد ظهر من اقواله الحكيمة وآرائه الطبية الصائبة واحاديثه العلمية والدينية الصحيحة ، ما طبق الارجاء وأنار القلوب المظلمة وهدى النفوس التائهة ، حتى قصده القاصي والداني ، بين مستشف

---

(١) تذكر برمتها في بحار الانوار ج ١٤ ص ٥٥٤ - ٥٦٧

(٢) وقد شرح هذا الكتاب وعلق عليه وحققه الدكتور صاحب زيني النجفي باسم طب الرضا في سلسلة (ملتقى العصرين) التي كانت تصدر في الكاظمية

بواسطة ارشاداته القيمة ومغترف من منهله العلمي العذب النمير .

ولأجل ذلك فقد روت عنـه الرواة ، وكتبت عنه الكتب والرسائل وتخرج عليه طائفة من العلماء والحكماء وجمهرة من جهابذة الدين وكثير من اكابر الحفاظ والمحدثين ، حتى اصبح قوله (ع) فصل الخطاب فاذا قيل قال الصادق وقفت العلماء دون قوله واجمين ، وبما وردعنه معترفين ، ولهخاضعين

وها نحن الآن نقدم اليك ما يخص موضوعنا هذا مما ورد عنه (ع)في علم الطب خاصة بيد أن طلبنا للاختصار في هذه الرسالة جعلنا نكتفي بالنزر القليل من وافر علمه وجزيل فضله لعدم إمكان الاحاطة الكاملةفي هذا المختصر

كما أن من المستحسن أيضاً قبل الشروع في البحث أن نذكر للقارىء الكريم ما يلزم ذكره ههنا لكي لا يغفل طالب الحقيقة فيزل او يغتر بأقوال بعض ذوي الاغراض الخسيسة فيضن ، من ان الامامابا عبد الله الصادق(ع) أخذ هذه العلوم عمن ورد الجزيرة من علماء الاجانب فلاسفة واطباءوغيرهم إذ من البديهي المسلم كما سنثبته لك ان معرفته (ع) لم تكن إلا قبساً من اشعة علم النبي (ص) الذي اخذه عن الوحي ـ اذ انه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ـ ثم استودع ذلك وصيه الذي قال فيه : أنامدينة العلم وعلي بابها (١) وان وصيه هذا هو الذي قال : سلوني قبل ان تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي (٢) . ثم استودعه علي (ع) ولديه الحسن والحسين عليهما السلام الذين قال النبي فيهما : هذان امامان قاما او قعدا (٣) ثم كان ذلك العلم الآلهي لدى الامام السجاد (ع) ومنه لدى الامام الباقر « ع » ثم ورثه الامام الباقر ولده الامام ابا عبد الله الصادق جعفر بن محمد « ع »

«١» الغدير للأميني ج ٦ ص ٥٤ . «٢» الغدير للأميني ج ٦ ص ١٧٨

«٣» حديث متفق عليه لدى الفريقين .

اذاً فهذه العظمة العلمية في شخصية الامام الصادق « ع » لم تكن الا سراً من أسرار الكتاب ونوراً من انوار النبوة وفيضاً من فيوضات الامامة لاغير ولو كانت مكتسبة لظهر من اساتذته ومعلميه « كما زعم الجاهلون » بعض ما ظهر منه مما ملأ الكتب وفاضت به الاخبار والاحاديث .

ثم دع ما تقدم وتأمل منصفاً ثم انظر في أقواله وتعاليمه بعين طـــالب الحقيقة فهل تجد لكل من ورد الجزيرة آنذاك من اطباء وحكماء وفلاسفة اطلاعاً على آرائه وأقواله او إدراكا لما أبانه واظهره مما لم يدركه العلم في ذلك العصر ولم يقف العلمـــاء على مغزاه ومرماه إلا بعد قرون متطاولة واجيال متعاقبة .

وبعد أن مخضتهم التجارب العملية وأرشدتهم الاكتشافات العلمية إلى معرفة ذلك والآن اذكر لك بعض مناظراته الطبية لأثبت صحة دعوانا في طب الامام (ع) ولتحكم على نمسك بنفسك ، وإليك بعضها .

مناظرة الامام (ع) مع الطبيب الهندي (١)

عن محمد بن ابراهيم الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن عباد بن صهيب عن أبيه عن جده عن الربيع صاحب المنصور قال : حضر ابوعبدالله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ عليه كتب الطب فجعل ابو عبد الله «ع» ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له يا أبا عبدالله ، أتريد مما معي شيئاً ؟ قال لا فان معي ما هو خير مما معك قال وما هو ؟ قال «ع » : أداوي الحار بالبارد ، والبارد بالحـــار ، والرطب باليابس ، واليابس بالرطب ، وأرد الامر كله الى الله عز وجل ، واستعمل ما قاله رسول

«١» بحار الانوار ج ١٤ ص ٤٧٨ ؛ وفي كشف الاخطار (مخطوط).

الله (ص) : واعلم ان المعدة بيت الداء وان الحمية راس كل دواء واعود البدن ما اعتاده ، فقال الهندي : وهل الطب إلا هذا فقال الصادق « ع » اتراني من كتب الطب أخذت ، قال نعم . قال (ع) لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه ، فاخبرني ، أنا أعلم بالطب أم أنت ؟ قال الهندي : بل أنا قال الصادق (ع) : فاسألك شيئاً قال سل ، قال الصادق (ع) اخبرني ياهندي .

لم كان في الرأس شؤن ؟ قال : لا اعلم

فلم جعل الشعر عليه من فوق ؟ قال : لا أعلم

فلم خلت الجبهة من الشعر ؟ قال : لا أعلم

قال (ع) : فلم كان لها تخطيط وأسارير ؟ قال : لا أعلم

فلم كان الحاجبان فوق العينين ؟ قال لا أعلم

فلم جعلت العينان كاللوزتين ؟ قال لا أعلم

فلم جعل الأنف فيما بينهما ؟ قال لا أعلم

فلم كان ثقب الأنف في اسفله ؟ قال : لا أعلم

فلم جعلت الشفة والشارب فوق الفم ؟ قال : لا أعلم

فلم أحد السن وعرض الضرس وطال الناب ؟ قال : لا أعلم

فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال : لا أعلم

فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال : لا أعلم

فلم خلا الظفر والشعر من الحياة ؟ قال : لا أعلم

فلم كان القلب كحب الصنوبر ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الرئة قطعتين وجعلت حركتها في موضعها ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الكبد حدباء ؟ قال : لا أعلم

فلم كانت الكلية كحب اللوبية ؟ قال . لا اعلم

فلم جعل طي الركبة إلى خلف ؟ قال . لا أعلم

فلم انخصرت القدم ؟ قال . لا أعلم

قال الصادق « ع » . لكني أعلم ، قال الهندي فأجب

قال الصادق (ع) . كان في الرأس شؤن لان المجوف إذا كان بلا فصل أسرع اليه الصداع فاذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد .

وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الادهان إلى الدماغ ويخرج باطرافه البخار منه ويرد الحر والبرد عنه .

وخلت الجبهة من الشعر لانها مصب النور إلى العينين .

وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس إلى العين قدر ما يميطه الانسان عن نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه

وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردا عليها من النور قدر الكفاية ألا ترى ياهندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليها قدر كفايتها منه

وجعل الأنف بينها ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء .

وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ولو كانت مربعة أومدورة ماجرى فيها الميل ولاوصل اليها دواء ولاخرج منهاداء .

وجعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ وتصعدفيه الروائح إلى المشام ، ولوكان في اعلاه لما نزل منه داء ولاوجدرائحة

وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ماينزل من الدماغ عن الفم لأن لا يتغص فينغص على الانسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه .

وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الأنثى .

وجعل السن حاداً لأن به يقع العض .

وجعل الضرس عريضاً لأن به يقع الطحن والمضغ .

وكان الناب طويلا ليسند الاضراس والأسنان كالاسطوانة في البنا .

وخلا الكفان من الشعر لأن بها يقع اللمس فلوكان فيها شعر مادرى الانسان ما يقابله ويلمسه .

وخلا الشعر والظفر من الحياة لأن طولها سمج يقبح وقصها حسن فلو كان فيها حياة لألم الانسان قصها .

وكان القلب كحب الصنوبر لانه منكس ، فجعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرئة فيتروح عنه ببردها ولئلا يشيط الدماغ بحره .

وجعلت الرئة قطعتين ليدخل القلب بين مضاغطها فيتروح بحركتها وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها ليخرج مافيها من البخار .

وجعلت الكلية كحب اللوبيا لان عليها مصب مني نقطة بعد نقطة فلو كانت مربعة أو مدورة لاحتبست النقطة الاولى إلى الثانية فلا يلتذ بخروجها إذ المني ينزل من فقار الظهر الى الكلية وهي تنقبض وتنبسط وترميه أولا فاولا إلى المثانة كالبندقة من القوس .

وجعل طي الركبة إلى خلف لان الانسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي .

وجعلت القدم متخصرة لان المشي إذا وقع على الأرض جميعه ثقل ثقل حجر الرحى .

فقال الهندي : من اين لك هذا العلم ؟ فقال (ع) : اخذته عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله (ص) عن جبرائيل (ع) عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الاجساد والارواح .

فقال الهندي : صدقت وانا أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وعبده وانك أعلم أهل زمانك . انتهى .

سؤال النصراني منه عن أسرار عظام الانسان (١)

في المناقب لابن شهراشوب . عن سالم بن الضرير ان نصرانيــاً سأل الصادق (ع) عن أسرار الطب ثم سأله عن تفصيل الجسم فقال (ع) . إن الله خلق الانسان على اثنى عشر وصلا ، وعلى مائتين وثمانية واربعين عظما وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً ، فالعروق هي التي تسق الجسد كله ، والعظام تمسكه واللحم يمسك العظام ، والعصب تمسك اللحم ، وجعل في يديه اثنين وثمانين عظما في كل يد احدى واربعون عظما ، منها في كفه خمسة وثلاثون عظما وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة ، فذلك احــدى واربعون وكذلك في الاخرى ، وفي رجله ثلاثة واربعون عظما منها في قدمه خمسة وثلاثون عظما ، وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحدوفي وركه اثنان وكذلك في الاخرى ، وفي صلبه ثماني عشر فقــارة ، وفي كل واحد من جنبه تسعة اضلاع ، وفى وقصته (٢) ثمانية ، وفى رأسه ستــة وثلاثون عظما ، وفى فمه ثماني وعشرون أو اثنان وثلاثون عظما .

أقول . المراد بالوصل هو الاعضــاء العظيمة المتصلة بعضها ببعض وهي اثنا عشر الرأس والعنق و العضدين والساعدين والفخذين والساقين واضلاع اليمين واضلاع اليسار .

ولعمري ان هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكره المشرحون في هذا العصر لم يزيدوا ولم ينقصوا اللهم إلا في التسمية أو جعل الاثنين لاتصالها

---

(١) بحار الانوار ج ١٤ ص ٤٨٠ . (٢) الوقصة العنق .

واحداً او بالعكس وهذا مما يدلنا على اطلاعه الكامل بالتشريح ونظره الثاقب فى بيان تفصيل الهيكل العظمي فى بدن الانسان .

وهناك أيضاً بعض اسراره الطبية العجيبة التي لم يكشفها علم الطب إلا بعد ان كملت العقلية البشرية ، ولم يعرفها الاطباء ذووا الافكار الجبارة إلا بعد التجارب والتحقيق والتنقيب العلمي الكثير . فمنها :

الدورة الدموية :

جاء في كتاب (توحيد المفضل) ، وهو جملة محاضرات القاها الامام (ع) على تلميذه (المفضل بن عمر) في اثبات التوحيد ، من المسائل الطبية الجليلة ما لم يحلم بها الاطباء في ذلك العصر ، ولم يدركوها الا بعد اثنى عشر قرناً عندما ظهر الاستاذ الدكتور (هارفي) الطبيب الشهير المعروف لدى الاطباء (بمكتشف الدورة الدموية) واكتشف ذلك الاكتشاف الذي افتخر به الغرب حتى جعله من معجزات عصر الاختراعات والذي قلب الطب ظهراً على عقب وهو في الحقيقة ، ولدى المتأمل المنصف ، اكتشاف كان قد ذكره الامام الصادق عليه السلام ، في طي كلامه مع المفضل ، فلو نظرت اليه وتأملته لعلمت علم اليقين ، ان هذا المكتشف العظيم لم يأت بشيء جديد ، ولم يكن الا عيالا على ما قاله ابو عبد الله الصادق (ع) قبل قرون عدة . تأمل قوله (ع) حيث يقول :

فكر يا مفضل في وصول الغذاء الى البدن ، وما فيه من التدبير ، فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه ، وتبعث بصفوه الى الكبد ، فى عروق رقاق واشجة بينها ، قد جعلت كالمصفي للغذاء ، لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكأها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم ان الكبد تقبله ،

فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً ، فينفذ في البدن كله في مجار مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الارض كلها ، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مفايض اعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال ، وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى الى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ، ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها ، واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير . انتهى « ١ »

أقول : هكذا ورد عنه (ع) وهو صريح في بيان كيفية الدورة الدموية على حسب ما وصل اليه الطب الحديث بعد ما يناهز الاثنى عشر قرنا مضافاً الى ما لوح فيه الى وظائف الجهاز الهضمي ، والجهاز البولي ، والى وظيفة المرارة والطحال والكبد والمثانة ، كما انه (ع) أشار أيضاً بقوله : « لئلا ينتشر في البدن فيسقمه وينهكه » . الى ما اثبته طب القرن العشرين من التسمم البولي الحاصل من رجوع البول من المثانة الى الدم عندما لم يخرج منها فينتشر بواسطة الدم في جميع أعضاء البدن فيسممه ويسقمه ، والى التسمم المعدي الحاصل من تعفن الفضلات المعدية غير المندفعة منها والتي تحدث برجوعها متعفنة الى البدن التهابات توجب تسممه وانتهاكه فتأمل .

كيفية السماع والابصار :

لقد ثبت في علم الطب الحديث ، وأصبح من البديهي لدى نطس الاطباء بعد التجارب والبحث العلمي في كيفية السماع : أن بين منبع الصوت والاذن

(١) توحيد المفضل .

السامعة توجد على الدوام مسافـة ولأجل أن يدرك الصوت يحتاج الى أن يكون بينها وسط ذو مرونة ، وهذا الوسط المرن هو الهواء بوجه عام ، فاذا لم يكن هذا الوسط المرن بين السمع والمسموع لم يدرك الصوت ، ولذلك فلا يسمع صوت في الخلاء (أي في الموضع الخالي من الهواء) البتة .

كما أجمعوا أيضاً : على ان المرئيات مطلقاً لا ترى ما لم يشع عليها ضوء خارج عنها كضوء الشمس أو نور القمر ، او ضوء المصباح ، او نور النجوم واشباهها فان هذه الاشعة المنعكسة من أي مرئي كانت تدخل في العين من القرنيـة الشفافة وتمر بالحدقة بالبؤبؤ ثم تسقط على الشبكية وترسم عليها صورة المرئي.

إذاً فلا سماع الا بالهواء ولا رؤية الا بالضياء حسب العلم الحديث وهذا القول الناتج بعد البحث والتنقيب من قبل علماء وفطاحل وبتجارب كثيرة طيلة اعوام واجيال ، هـــو بلا ريب جاء مطابقاً لقول الامام الصادق عليه السلام بل هو عين ما ذكره قبل مدة غير قصيرة أي قبل الف ومائتي عام ، وذلك حيث يقول عليه السلام (١) .

انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره (إلى أن يقول) فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الالوان ، فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافئاً فلو كان بصر ولم تكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً ، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس

(١) توحيد المفضل .

حاسة تدركه ، ومع هذا فتمدجعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس الا بها ، كمثل الضياء والهواء فانه لولم يكن ضياء يظهر اللون للبصر ، لم يكن البصر يدركِ اللون، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . الخ فتأمل وانصف وجدانك أهل جاء الطب الحديث بغير ما ذكره الامام (ع) للمفضل في محاضرته القيمة بصورة سهلة وعبارة واضحة .

واليك نظرية طبية ثالثة ذكرها الامام الصادق (ع) قبل اكتشاف العلم الحديث لها في القرن التاسع عشر الميلادي وهي حصول العدوى من السقيم الى المريض بواسطة الجراثيم كما سنذكره لك .

العدوى والجراثيم :

قال الامام جعفر بن محمد الصادق ع «١» لا يكلم الرجل مجذوماً الا أن يكون بينهما قدر ذراع ، وفي لفظ آخر قدر رمح .

وهذا من اوضح الدلالات على وجود العدوى في الاسلام وانها تكون بواسطة الجراثيم وقد اثبت علم الطب الحديث باكتشاف علماء «البكتريولوجيا» اجماعاً ، ان ميكروب الجذام يندر وجوده في الهواء حول المصاب اكثر من بعد مسافة متر أو متر ونصف وربما كان كذلك في المسلولين ، وهو قول يطابق قول الامام «ع» ، ولا غرابة في معرفة الامام « ع » بهذا وامثاله بعد ان كان من الراسخين في العلم ومن الذين اختارهم الله لسره ، واطلعهم على غامض علمه ، وبعد أن ورد عن النبي « ص » قوله : فر من المجذوم فرارك من الاسد «٢» . وقوله « ص » : لا تدخلوا بلداً يكون فيه

(١) الوسائل ج٢ ص٢٠٨ طبع عين الدولة . (٢) البحار ج ١٦ .

الوباء « ١ » ، وقوله « ص » : لا يوردن ممرض على مصح «٢» الى غيرها من الاحاديث الدالة على ذلك .

إذاً فالاسلام مثبت على هذا وجود الجراثيم المرضية وعدواها ، وانها موجودة فى جسم المصاب ، قبل أن يكتشفها الدكتور الافرنسي «دافين» فى سنة ١٨٥٠ م ، وقبل أن يشاهدها بمجهره الاستاذ الدكتور «باستور» فى اواخر القرن التاسع عشر .

هذا مضافا الى أن العقل ايضاً يحكم بوجودها فى الامراض السارية المعدية ذلك لان المرض لم يكن فى الاجسام الا عرضاً وارداً عليها ، ومن المسلم ان العرض لا يمكن أن يقوم بذاته فى الخارج دون ان يعرض على جسم آخر يقوم به ، فاذا قيل انتقل المرض فمعناه ، ان الجسم الحاصل له هو المنتقل به ، وليس الميكروب ، الا هذا الجسم الناقل ، ولم يرد النهي عن دخول البلد التي فيها الوباء أو الأمر بالفرار من المجذوم او عدم ورود الممرض على المصح الى غير ذلك الا لعدم انتقال هذا الجسم الحامل للمرض « الجراثيم » من جسم السقيم الى جسم السليم ، وليست العدوى الا هذا .

بقى هنا ان تنظر الى ما أخرجه رواة الحديث من الفريقين باسناد صحيحة عن رسول الله «ص» من قوله «ص» : لا عـــدوى ولا طيرة « ٣ » الى غيره بالفاض اخر فهو يؤل باحد معنيين :

- الاول : ان دين الاسلام جاء بنواميس وطقوس تمنع من المام أي من الاوباء الموجبة للعدوى ، فقد نهى عن أقسام الفجور المستتبعة للامراض السارية ، كما جاء باصول الصحة جمعاء فنهى مثلا عن الاكل قبل الجوع

---

(١) مجمع البحرين في باب عدى وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ (٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٩)

والكف قبل الشبع ، مما يمنع السدود ، وفساد الاخلاط ، والتخمة التي هي من امهات الامراض ، الى غير ذلك مما يضيق به هذا المختصر ، ثم حرم الاشياء الضارة كلها ، كما اثبت الطب اضرار استعمالها بعد التجارب العلمية الكثيرة فمتى التزم المسلم بها ، اي بتلك الآداب والسنن والاحكام والتعاليم ، فانه لا يكاد يجد لأي مرض الماماً به مما يستتبع العدوى ، عدا طفايف تتكيف بها النفس من حر أو برد وامثالها مما لا عدوى فيها .

وهذا المعنى يناسب نفي الذات الظاهر في الحديث .

الثاني : ان الاسلام حصر كلية التأثير في الأجزاء الكونية بالمبدأ الاقدس سبحانه وتعالى فلا يرى المسلم المعتنق لهذا الدين الحنيف ، ان تلك الامراض تستلزم العدوى بانفسها لا محالة (كما هو مزعمة الجاهلية) وانما يعتقد ان ذلك التأثير ممدود من المبدأ الحق سبحانه ، وهذا هو المقصود « بالطيرة » وان مايتطير به غير مستقل بالتأثير ، ولا يكون الا ما شاء الله فاذا اعتقد الانسان ذلك اكتسح عنه الاضطراب بما تطير به ، لانه أمر مردد بين مقدر وغير مقدر ، والاول (المقدر) لا ندحـــة له ، والثاني « غير المقدر » لا يصيبه البته ، وربما ينفي عنه بهذا الأعتقاد اصل التطير ، فلا يتطير بعد،ومن هنا كان(ص)يقول:ان الذي انزل الداء انزل الدواء(١)

قال الطيبي (٢):لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ، ونفت ذواتها وهي غير منفية فيوجه النفي الى اوصافها واحوالها ، التي هي مخالفة الشرع، فان العدوى ، والصفر ، والهامة ، موجودة ، والنفي ما زعمت الجاهليـة لا

(١) كشف الاخطار المخطوطة .

(٢) بكسر الطاء والياء الخفيفة ، هو الحسن بن محمد بن عبد الله المحدث المفسر المتوفى سنة ٧٤٣ هـ كما في الكنى والالقاب للقمي ص ٤١١ .

إثباتها ، فان نفي الذات لإرادة الصفات ابلغ في باب الكناية . انتهى .

وهناك معان اخرى للحديث ، يتأتى بها الوفاق بينه وبين ما مر ، اقتصرنا على ما ذكرنا روماً للاختصار .

والآنّ وبعد ذكرنا للجراثيم ، ناسب ان نذكر لك نبذة قصيرة عن تاريخها وأثرها في الأجسام ، وكيفية ورود العدوى بواسطتها ، حسب الطب الحديث ، إتماماً للفائدة ، وايضاحا للبحث .

الجراثيم ومجمل تاريخها :

الجراثيم « الميكروبات » جمع جرثومة (ميكروب) ومعنى كلمة ميكروب هو (الحي الدقيق) وقد وضع هذا الاسم لهذا الحي رجل يدعى (سيدللوت) سنة ١٨٧٨ م . اما العلم الذي يبحث عنها وعن انواعها وآثارها فيسمى (علم البكتريولوجيا) وهو لفظ يوناني مأخوذ من تركيب لفظة (بكتريا) بمعنى العصي جمع عصا ، وذلك لان شكل الكثير منها مستقيم كالعصا ولفظة (لوجيا) بمعنى العلم . اما المؤسس لهذا العلم فهو الاستاذ (لويس باستور) الافرنسي المتولد سنة ١٨٢٢ م والمتوفي سنة ١٨٩٥ م .

واشهر من نبغ فيه بعده الاستاذ الدكتور (روبرت كوخ) الألماني مكتشف ميكروب الدرن الرئوي في السل والمتولد سنة ١٨٤٣ م والمتوفى سنة ١٩١٠م

وغير خفي ان الذي هدى الناس إلى معرفة هذه الاحياء الدقيقة (غير المرئية بالعين) هو المجهر (الميكرسكوب) الذي اخترع سنة ١٥٩٠ م قبل تأسيس هذا العلم بمدة طويلة .

وللجراثيم أشكال ثلاثة على الاغلب ١ — الشكل الباسيلي أي المستطيل ٢ ـ الزور وهي التي ترى كنقط صغار ، قد يلتقي بعضها ببعض فتتكون

منها خيوط تسمى (النزور السلسلية) وقد تجتمع مثنى وثلاث ورباع وقد تتكون باجتماعها على شكل الكلية ، أو على شكل عنقود فتسمى (الكلية) (بتشديد الياء) أو العنقودية الى غير ذلك .

٣ — الشكل الحلزوني ، وهو جراثيم مستطيلة ملتوية على نفسها كالثعبان أو كحركة الضمة ، أو الشولة . ولذلك تسمى أحياناً (الباسيل الضمي) . وقد يكون لقسم منها اهداب فى اطرافه .

وهذه الجراثيم تنمو وتتوالد باحدى طريقتين :

١ — امابانقسامها عرضاً الى قسمين، وكل قسم منها الى قسمين أيضاً وهلم جرا.

٢ — واما بتولد حبيبة فى داخل الجرثومة تنفلق عنها ، ثم تنمو هذه الحبيبة فتكون جرثومة ، وهكذا بكل سرعة .

ويحدث ضررها بنموها فى السائل الذي تتربى فيه ، وبافرازها فيه مواداً نفتك فى البدن فتكا ذريعاً مهما كانت قليلة أو ضعيفة .

اما طريق العدوى بها ، وبعبارة أوضح طريق دخول الجراثيم الى الجسم ، فلذلك ابواب كثيرة ، أهمها أربعة .

١ — الرئتان ٢ — الجهاز الهضمي ٣ — الجلد ٤ — الأغشية المخاطية كاعضاء التناسل والعين مثلا ، ولا يلزم ان يكون سطح الجسم أو الاغشية المخاطية مجروحة ، لكي يدخل ذلك الميكروب من الجرح ، بل قد يدخل من الأماكن ذات النسج الرقيق من الجلد ، أو من مسامها ، ولكن الجرح يسهل الدخول

أما مصادر خروج الميكروب ، أي الأشياء التي تحمل الجراثيم وتتصل بالبدن ثم تنقلها اليه ، فهي :

١ — الهواء ٢ — الطعام ٣ — الشراب ٤ — التراب ٥ — ما يلامس جلد المصاب من الاجسام الخارجية كالملابس والاواني وامثالها .

ولقائل ان يقول : كيف توجد العدوى ، ونرى بالحس والوجدان ان ليس كل انسان ، أتصل به ميكروب مرض معدي ، أصيب به ، فكم من متعرض لذلك ينجو ، وكم من متوق محتاط يصاب باسرع من غيره ، إذاً فما معنى العدوى وهل تلك الاصابة إلا صدفة ، كما اتفقت للمريض الاول

فنقول : لا لوم عليك اذا ما تصورت ذلك فانكرت العدوى فان الظاهر كما زعمت ، ولكن قد غاب عنك ، ان الاطباء والعلماء قد اتفقوا بلا خلاف على ان أمر العدوى بالجراثيم المرضية ، وسرايتها في السليم ، متوقفة على شروط ، ان لم تحصل ، لا يحصل أمر العدوى البته ، وهي :

أولا — القابلية : ومعناها ان يوجد في الميكروبات ما يحصل به نماؤها مثل ضعف الكريات البيض في دم السليم ، التي هي بمنزلة الجنود المدافعة عن البدن ، والمكلفة باقتناص ما يرد اليه من الجراثيم المرضية الفتاكة وردعها عنه بكل قواها ، فاذا ضعفت هذه الكريات في الدم ، اصبح البدن مستعداً الى قبول الجراثيم ، غير مدافع فتكها .

ثانياً — الفاعلية : ومعناها ان تحصل تلك الجرثومة فى بيئة أو وسط ملائمين لنموها ، مساعدين لها على مكثها وتفريخها .

ثالثاً — حصول الوقت الكافى لتأثيرها فى البدن .

فاذا حصلت هذه الشروط الثلاثة ، وحصل الناقل لها كالهواء أو الطعام أو الشراب أو غيرها ، حصلت العدوى والا فلا عدوى .

ثم ان هناك أيضاً امراً آخر ، لا بد من ملاحظته ، وذلك ان للامراض المعدية ادواراً ثلاثة (١) دور الابتداء (٢) دور التوقف (٣) دور الانحطاط.

وهي أي الامراض منها ما يعدي فى كل ادواره ، ومنها ما يعدي في دور الابتداء فقط ، ومنها ما يعدي في دور الانحطاط . اذاً فلا تحصل العدوى مطلقاً

ويتلخص من هذه المقدمة : ان المرض المعدي، لا تحصل منه العدوى الا اذا كان في دوره المعدي، مع حصول القابلية ، والفاعلية من الميكروب نفسه مع حصول الوقت الكافي لنموه ، مع مساعدة البيئة أو الوسط مع ضعف المناعة في بدن السليم (أي ضعف الكريات البيضاء) اما بغير ذلك فلا عدوى

قال ابن سينا : ليس كل سبب يصل الى البدن يفعل فيه . بل قد يحتاج مع ذلك الى أمور ثلاثة (١) الى قوة من قوته الفاعلة (٢) وقوة من قوة البدن الاستعدادية (٣) وتمكن من ملاقاة أحدهما للآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل عنه ، وقد تختلف أحوال الأسباب عند موجباتها فربما كان السبب واحداً . واقتضى في ابدان شتى أمراضاً شتى . او في اوقات شتى امراضاً شتى اوقد يختلف فعله في الضعيف والقوي . و في شديد الحس وضعيفه انتهى

وهنا في المناسب أيضاً ان تعلم ان للامراض المعدية أسباباً مهيئة اخرى وهي قسمان . مادية . ومعنوية . وبعبارة اوضح . ظاهرة وكامنة .

أما الظاهرة (المادية) فهي مثل فساد الهواء ، وفساد الماء ، والابخرة الردية (المتعفنة) والاماكن الرطبة ، وكثيرة السكان ، وقليلة النور ، وشدة الحرارة والبرودة ، وفساد الطعام ، والمستنقعات ، والحروب، وشرب الخمور وارتكاب المعاصي ، الى غير ذلك مما تجعل الجسم مستعداً لقبول العدوى .

واما الكامنة (المعنوية) فمثل الوراثة ، والسن ، والجنس ، والمزاج الضعيف ، والجوع والتعب المفرطين ، وقد يكون منها ، الغضب والوهم ، والهم ، والغم والحزن والرعب والخوف والعشق وغيرها .

فان الاحداث ، والاسباب النفسية كثيراً ما تؤثر في حدوث الامراض أو تطورها . وبالاخير انهاك القوى التي تجعل الجسم عرضة لكل عدوى .

قال جالينوس : الغضب يلهب الامزجة الصفراوية والحارة فيهيء الجسم

للحميات الحادة كالحمى العفنية اللازمة . والغم والحزن يفسدان الدم فيكونان علة للحمى التيفوئدية ، والفزع والرعب يحدثان احيانا أرقة الدم . وفقد الكريات الدموية فيكونان سبباً للتيفوس واشباهها (انتهى) مضمون كلام جالينوس

هذه نبذة وجيزة عن الميكروبات ذكرناها ليتضح لك جيداً ويبدو لك جلياً معنى قول الامام الصادق عليه السلام : لا يكلم الرجل مجذوما الا وان يكون بينهما قدر ذراع . وبلفظ آخر قدر رمح . فتأمل في قوله (ع) هذا كيف اشار بكلماته القصار الى خلاصة ما اكتشفه علم القرن التاسع عشر من الاسرار العجيبة التي افتخر بها كانه جاء بشيء جديد وقد أبان عنه الامام (ع) قبل ١٤ قرناً .

حديث الاهليلجة (١)

ان هذا الحديث الجليل والكتاب الشريف الذي كتبه الامام الصادق (ع) الى تلميذه المفضل بن عمر الجعفي في اثبات الوحدانية لحديث طويل لا يسعه هذا المختصر ولكنا قد اقتطفنا منه جزءاً يسيراً مما هو محل شاهدنا للاستدلال على كامل معرفته (ع) بالعقاقير ومنافعها واضرارها وانواعها ومنابتها وطرق استعمالها بما لم يعرفها أطباء عصره ولم يدركها ذووا الفن من المشتغلين بها على انه (ع) كان قد ذكرها طي كلامه عن التوحيد ولم يقصد بيانها مفصلا وهذا مما يوضح لكل منصف عارف ما لدى الامام (ع) من العلم الكامل بهذا الفن علماً اخذه عن اجداده عن النبي (ص) بالوراثة لا عن تعليم معلم او تدريس أستاذ . واليك ما اقتطفناه منه :

كتب المفضل بن عمر الجعفي الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه

---

(١) البحار ج ٢ ص ٧٥ ط طهران .

السلام يعلمه ان اقواماً ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله ان يرد على قوله ليحتج عليهم فيما ادعوا به .

فكتب أبو عبد الله (ع) اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا بذلك رضوانه ورحمته . وصل كتابك تذكر فيه ماظهر في ملتنا وذلك من قوم من اهل الالحاد بالربوبية قد كثرة عدتهم واشتدت خصومتهم وتسأل ان أصنع للرد عليهم والنقض لما في ايديهم كتابا على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة إلى ان يقول (ع) ولعمري ما اتى الجهال من قبل ربهم وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم وما يعاينون في ملكوت السماوات والارض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم ابواب المعاصي وسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم وكذلك يطبع الله على قلوب المفسدين .

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتابا كنت نازعت فيه بعض أهل الاديان من أهل الأفكار وذلك انه :

كان يحضرني طبيب من بلاد الهند وكان لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني عن ضلالته فبينا هو يوما يدق اهليلجة ليخلطها بدواء احتاج اليه من ادويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت واخرى تسقط ونفس تولد وأخرى تتلف وزعم ان انتحال المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ولا حجة لي فيها وان ذلك أمر أخذه الآخر عن الاول والاصغر عن الاكبر وان الاشياء

المختلفة والمؤتلفة والظاهرة والباطنة إنما تعرف بالحواس الخمس . فأخبرني بم تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وانما يعرف القلب الاشياء كلها بالدلالات الخمس .

(الى آخر مايسوقه من اعتراض الطبيب وجواب الامام (ع) من البراهين العقلية والدلائل الحسية التي الخمته حتى جعلته يقر بالربوبية و الوحدانية لله تعالى . وقد اعرضنا عنها كلها عـدا ماهو الشاهـد لنا على اثبات ما للامام الصادق (ع) من معرفة خواص الادوية ومنافع العقاقير ومضارها في عصر لم يدركها غيره حتى الاخصائيين بمعرفتها) .

واليك محل الشاهد من الحديث. قال الامام « ع » لذلك الطبيب :

فاعطني موثقاً اذا انا أعطيتك من قبل هـذه الاهليلجة التي بيدك وما تدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك واجدادك وما يشابهها من الادوية لتذعنن للحق ولتنصفن من نفسك . قال : ذلك لك قلت : هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الاهليلجة واشباهها ؟ قال نعم . قلت : فمن أين اهتدوا؟ قال بالتجربة والمقايسة قلت : فكيف خطر على اوهامهم حتى هموا بتجربته وكيف ظنوا انـه مصلحة للاجساد وهم لا يرون فيه الا المضرة وكيف عزموا على طلب ما يعرفون مما لا تدلهم عليه الحواس ؟ قال : بالتجربة . قلت : اخبرني عن واضع هذا الطب وواصف هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب هل كان بـد من ان يكون الذي وضع ذلك ودل على هذه العقاقير رجل حكيم من أهل هذه البلدان ؟ قال : لابد أن يكون كذلك وأن يكون رجلا حكيما وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك وفكروا فيه بعقولهم . قلت : كانك تريد الانصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فاعلمني كيف عرف الحكيم ذلك ؟

وهبه قد عرف ما في بلاده من الدواء و الزعفران الذي بارض فارس مثلا أتراه اتبع جميع نبات الارض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك ، وهل يدلك عقلك على ان رجالا حكماء قدروا على ان يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسهم وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيهاخلط بعض هذه الادوية التي لم تدرك حواسهم شيئاً منها؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه جميع بلاد فارس ونباتها ، كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضم اليه الاهليلج من الهند والمصطكي من الروم والمسك من تبت والدارصين من الصين وخصي بيدستر من الترك والافيون من مصر والصبر من اليمن والبورق من أرمينية وغير ذلك من اخلاط الادوية التي تكون من أطراف الارض وكيف عرف ان بعض تلك الادوية وهي عقاقير مختلفة تكون المنفعة باجتماعها ولا تكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع ، أم كيف اهتدى لمنابت هذه الادوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرقة فمنها عروق ومنها لحاء ومنها ورق ومنها ثمر ومنها عصير ومنها مايع ومنها صمغ ومنها دهن ومنها ما يعصر ويطبخ ومنها مايعصر ولا يطبخ مما سمي بلغات شتى لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يصير دواءاً إلا باجتماعها ومنها مرائر السباع والدواب البرية والبحرية ، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرقون باللغات متغالبون بالمناصبة ومتحاربون بالقتل والسبي أفترى من ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه وتتبع هذه العقاقير مشرقا ومغربا آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض سليما لا يعطب حياً لا يموت هاديا لا يضل قاصداً لا يجور حافظاً لا ينسى نشيطاً لا يمل حتى عرف وقت أزمنتها ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألوانها وتفرق

أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها ثم وصف كل شجرة بذباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها ، أم هل كان لهذا الحكيم بد من أن يتتبع جميع أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة شيئاً فشيئاً؟ وهبه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلته حواسه على انها تصلح للدواء والشجر مختلف فمنه الحلو والحامض والمر والمالح ، وإن قلت يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال فانى يسأل عما لم يعاين ولم يدركه بحواسه ، أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والاشياء كثيرة.

وهبه فعل فكيف عرف منافعها ومضارها وتسكينها وتهييجها وباردها وحارها ومرارتها وحرافتها ولينها وشديدها فلئن قلت بالظن فان ذلك لا يدرك ولا يعرف بالطبايع والحواس ، وان قلت بالتجربة والشرب فلقد كان ينبغي له أن يموت في اول ما شرب وجرب تلك الأدوية بجهالته بها وقلة معرفته بمنافعها ومضارها وأكثرها السم القاتل ، وان قلت بل طاف في كل بلد واقام في كل أمة يتعلم لغاتهم ويجرب ادويتهم بقتل الاول فالاول منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد الا بعد قتل قوم كثير فما كان اهل تلك البلدان الذين قتل منهم ما قتل بتجربته بالذين ينقادون له بالقتل ولا يدعونه يجاورهم . وهبه تتبع هذا كله واكثره سم قاتل ان زيد على قدره قتل وان نقص عن قدره بطل .وهبه تتبع هذا كله وطاف مشارق الارض ومغاربها وطال عمره فيها بتتبعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر ، هل كان بد حيث زعمت ان ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة حتى جمعها كلها فمنها ما لا يصلح ولا يكون دواء إلا بالمرار هل كان بد من ان يتتبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابها دابه دابــة وطائراً طائراً يقتلها ويجرب مرارها كما بحث في تلك

العقاقير على ما زعمت بالتجارب ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة اذا قطعت شجرة نبتت اخرى . وهبه اتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي ان يتتبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى احاط به كما احاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها فانك مهما جهلت شيئاً من هذا فانك لا تجهل ان دواب البحر كلها تحت الماء ، فهل يدلك العقل والحواس على ان هذا يدرك بالبحث والتجارب قال لقد ضيقت علي المذاهب فما ادري بماذا اجيبك .

فقلت : سأبرهن لك بغير ذلك مما هو أوضح وأبين مما اقتصصت عليك ألست تعلم ان هذه العقاقير التي منها الادوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواءاً إلا بعد الاجتماع ؟ قال هو كذلك . قلت : فاخبرني كيف ادركت حواس هذا الحكيم الذي وضع هذه الادوية مثاقيلها وقراريطها فانك أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وانت قد تدخل في الدواء الواحد من اللون الواحد وزن اربعمائة مثقال ومن الآخر ثلاثة أو اربعة مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك او دونه حتى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه ، وان سقيت صاحب القولنج اكثر من ذلك استطلق بطنه ، والآن فكيف ادركت حواسه على هذا ، أم كيف عرف بحواسه ان الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين والانحدار اهون عليه من الصعود والذي يسقي لوجع القدمين لا يصعد إلى الراس وهو اقرب منه وكذلك كل دواء يسقي صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في العروق التي تسمى له وكل ذلك يصير الى المعدة ومنها يتفرق ؟ ام كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر ؟ أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم ان الذي ينبغي للاذن لا ينفع العين ، وما تنتفع به العين لا يغني من

وجع الاذن ، وكذلك جميع الاعضاء يصير كل دواء منها إلى ذلك العضو الذي ينبغي له بعينه فكيف ادركت العقول والحواس هذا و هو غائب في الجوف والعروق واللحم وفوق الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشم ولا بلمس ولا بذوق ؟ قال : لقد جئت بما اعرف إلا اننا نقول ان الحكيم الذي وضع هذه الادوية واخلاطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الادوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه و نظر مجاري تلك الادوية وأتى المواضع التي تلك الادويه فيها . قلت فاخبرني ألست تعلم ان الدواء كله اذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال : بلى ، قلت : أما تعلم ان الانسان اذا خرجت نفسه برد دمه وجمد ؟ قال بلى . قلت فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه المريض بعد ان صار عبيطاً ليس بامشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال : لقد حملتني على مطية صعبة ما حملت على مثلها قط ولقد جئت باشياء لا اقدر على ردها الى آخر الحديث الطويل .

فيمضي الامام عليه السلام في استدلاله على اثبات الوحدانية والربوبية من طرق اخرى مفصلة يستدرجها من حديث الاهليلجة التي هي بين يدي الطبيب الهندي ونحن لا حاجة لنا بها في موضوعنا هذا .

ولقد ظهر لنا ولكل ذي انصاف غير مكابر ما لدى الامام عليه السلام من الاطلاع الواسع والمعرفة الكاملة بخواص الادويـة و منافعها ومضارها بل وكل خاصة فيها مفردة ومركبة مع معرفة منابتها وطباعها دون ان يسند ذلك الى معلم او طبيب اخذه منها بل لم يعرفه كل طبيب أو عقاري في عصره أو ليس ذلك علماً الهامياً أو وراثياً عن سلفه الطاهرين والذين خصهم الله تعالى به دون ساير الخلق وجعلهم معدنـه ومنبعه لأنهم هم الراسخون في العلم وحاملوا اعباء ارشاده وحقائقه الحكيمة .

وصفاته الطبية :(١)

ليس الامام (ع) سوى من اختاره الله بلطفه العام على العباد خلفاً عن النبي الكريم (ص) ليرجع الخلق اليه في جميع مهامهم ، ويهرع الناس نحوه في كل حادث لا يرون منه ملجأ الا لديه ، سواء أكانت تلك المهمة روحية أم بدنية اخروية أم دنيوية ، لانه هو الكفيل بارشادهم الى صالح معادهم ومعاشهم ، لذلك فقد كانوا يردون على الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) من كل فج وقطر ليسألوه عن مشكلة في الدين أو ملمة في الدنيا فيجدون عنده الجواب الكافي والعلاج الشافي ، وكثيراً ما كان الوفاد تستشفي بوصفاته النافعة وتستوصفه في كل ما يعتريها من الأسقام والامراض وهو يجيبهم بما يجدون به الشفاء العاجل والنفع الآجل . أجل وكيف لا يكون كذلك، وهو طبيب النفوس والارواح وهادي الامة الى الصلاح والاصلاح وها اني اذكر لك بعض وصفاته الطبية في علاج ما يسأل عنه من الامراض لتعلم انه عليه السلام الطبيب العالم والامام المرشد . واليك ذلك :

١ – الصراع :

عن سالم بن ابراهيم عن الديلمي عن داود الرقي قال : حضرت أبا عبد الله الصادق (ع) وقد جاء خراساني حاج ، فدخل عليه وسلم ، وسأله عن شيء من امر الدين ، فجعل الصادق (ع) يفسره له ثم قال له : يا بن رسول الله ، ما زلت شاكياً منذ خرجت من منزلي من وجع الرأس ، فقال له (ع)

---

(١) اخذنا اغلب هذه الوصفات من الفصول المهمة للحر العاملي (ره) وتذكر برمتها في بحار الانوار ج ١٤ ص ٥٠٩ – ٥٣٢ .

قم من ساعتك هـــذه ، فادخل الحمام ، ولا تبتدأن بشيء ، حتى تصب على رأسك سبعة اكف ماء حار ، وسم الله تعالى في كل مرة فانك لا تشتكي بعد ذلك منه أبداً ففعل ذلك وبريء من ساعته .

٢ – الزكام :

شكا اليه بعض اصحابه الزكام ، فقال (ع): صنع من صنع الله ، وجند من جنوده بعثه الى علتك ليقلعها . فاذا أردت قلعه ، فعليك بوزن دانق شونيز ونصف دانق كندس ، يدق وينفخ في الانف ، فانه يذهب بالزكام واذا امكنك أن لا تعالجه بشيء فافعل ، فان فيه منافع كثيرة .

٣ — ضعف البصر

شكا بعض اصحابه فتاة له ضعف بصرها ، فقال له (ع) : اكحلها بالمر والصبر والكافور اجزاء سواء قال فكحلتها فانتفعت به .

٤ بياض العين :

في طب الأئمة : شكا الى أبي عبد الله (ع) رجل بياضاً في عينيه فامره أن يأخذ فلفلا ابيض ، ودار فلفل ، من كل واحد درهمين ، ونشادر صافي جيد وزن درهم ، فيسحقها كلها ، ثم ينخلها ويكتحل بها ، في كل عين ثلاث مراود وان يصبر عليها ساعة ، فانه يقطع البياض ، وينقي لحم العين ، ويسكن الوجع باذن الله ، ثم يغسل عينيه بالماء البارد ، ثم يتبعه بالاثمد اكتحالا .

٥ وجع البطن واسهالها :

وجاءه رجل فقال له : يابن رسول الله ، ان ابنتي ذبلت ، وبها البطن

فقال له (ع): ما يمنعك من الارز مع الشحم ، ثم علمه طريقة طبخه ، ففعل ذلك كما أمره ، فشفيت ابنته به.

٦ — الاسهال :

عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : مرضت بالمدينة ، واطلق بطني ، فقال لي ابو عبد الله (ع) وامرني أن آخذ سويق الجاورس ، واشربه بماء الكمون ، ففعلت فامسك بطني .

٧ — قراقر البطن مع الألم :

شكا ذريح قراقر في بطنه اليه (ع) فقال له : أتوجعك ؟ قال نعم ، فقال له (ع) : ما يمنعك من الحبة السوداء والعسل ، فاستعمله فنفعه .

٨ — الرياح المزمنة :

كتب جابر بن حسان الصوفي الى ابي عبد الله (ع) فقال : يابن رسول الله منعتني ريح شابكة شبكت بين قرني الى قدمي ، فادع الله لي ، فدعا له ، وكتب اليه : عليك بسعوط العنبر والزئبق ، تعافى انشاء الله ، ففعل ذلك ، فعوفي .

٩ — ضعف البدن :

قال له رجل : اني اجد الضعف في بدني ، فقال له (ع) : عليك باللبن فانه ينبت اللحم ويشد العظم فقال له آخر : اني اكلت لبناً فضرني ، فقال له (ع) : ما ضرك قط ، ولكنك اكلته مع غيره فضرك الذي اكلته معه فظننت أن ذلك من اللبن .

١٠ – حمى الربع :

عن عبد الله بن بسطام عن كامل عن محمد بن ابراهيم الجعفي عن ابيه قال دخلت على ابى عبد الله الصادق (ع) ، فقال لي (ع) مالي اراك شاحب الوجه ؟ قلت ان بي حمى الربع يا سيدي ، فقال (ع) : اين انت عن المبارك الطيب ، اسحق السكر ، ثم خذه بالماء واشربه على الريق عند الحاجة الى الماء قال : ففعلت ذلك ، فما عادت الحمى بعد .

١١ – المبطون مع الألم :

عن خالد بن نجيح قال : شكوت الى ابىعبد الله (ع) وجع بطني فقال لي : خذ الارز فاغسله ثم رضه وخذ منه قدر راحة (راحة اليد) فى كل غداء ثم قال : اطعموا المبطون خبز الارز ، فما دخل جوف مبطون شيء انفع منه ، أما انه يدبغ المعدة ويسل الداء سلا .

١٢ – الوضح والبهق :

شكا رجل ذلك إلى ابي عبد الله (ع) فقال له (ع) : أدخل الحمام ، وخذ معك الحنا بالنورة واطل بها ، فانك لا تعاين بعد ذلك شيئاً ، قال فوالله ما فعلت ذلك غير مرة واحدة ، حتى عافاني الله تعالى .

١٣ – البلغم الكثير :

قال (ع) : خذ جزءاً من علك الرومي وجزءاً من الكندر وجزءاً من الصعتر وجزءاً من النانخواه وجزءاً من الشونيز ، ودق كل واحد على حدة دقاً ناعماً ثم ينخل ويعجل بالعسل ، ويؤخذ منه كل ليلة قدر البندقة فانه

نافع ان شاء الله .

١٤ ـــ شدة البول :

عن الفضل قال : شكوت إلى ابي عبد الله ، اني القى من البول شدة ، فقال (ع) : خذ من الشونيز آخر الليل فاخذت منه مراراً فعوفيت .

١٥ ـــ قلة الولد :

شكا عمر بن ابي حسنة الجمال اليه (ع) قلة الولد ، فقال له : استغفر الله وكل البيض والبصل ، وعنه (ع) من عدم الولد فليأكل البيض وليكثر .

١٦ ـــ ضعف الباه :

في طب الأئمة : قال رجل لأبي عبد الله الصادق (ع) : سيدي إني اشتري الجواري واحب أن تعلمني شيئاً اتقوى به عليهن ، فقال (ع) : خذ البصل الابيض فقطعه واقله بالزيت ، ثم خذ بيضا وانفذه في قسعة وذر عليه شيئاً من الملح ، ثم اكببه على البصل والزيت ، واقله ، وكل منه . فقال الرجل . ففعلته ، فكنت لا اريد منهن شيئاً إلا نلته .

إلى كثير غير ذلك مما لا تسعه هذه الرسالة الوجيزة ، وقد اقتصرنا منه على هذا القليل روماً للاختصار ، ولكن من المستحسن ذكر شطر مهم من الادواء التي جاء العلاج لها مروياً عن الامام الصادق (ع) في طب الأئمة والبحار وغيرهما من كتب الاحاديث والأخبار وهاك نموذج من تلك الادواء .

١ ـ السعال	٣ ـ وجع الحلق
٢ ـ السل	٤ ـ الزكام

٥ ـ الأرياح
٦ ـ وجع المثانة والحصاة
٧ ـ اوجاع المفاصل
٨ ـ سلس البول
٩ ـ الاسهال
١٠ ـ عرق النسا
١١ ـ الجروح والقروح
١٢ ـ الجدري
١٣ ـ وجع البطن
١٤ ـ وجع الظهر
١٥ ـ البواسير
١٦ ـ طغيان البلغم (الزلال)
١٧ ـ اليبوسة
١٨ ـ كثرة العطش
١٩ ـ السموم
٢٠ ـ الوباء (الكلورا)
٢١ ـ الجذام
٢٢ ـ البرص ٢٣ ـ البهق
٢٤ ـ البلة والرطوبة
٢٥ ـ الفالج
٢٦ ـ اللقوة
٢٧ ـ خفقان الفؤاد
٢٨ ـ وجع الطحال والخاصرة
٢٩ ـ ذات الجنب
٣٠ ـ الرمد
٣١ ـ الصداع
٣٢ ـ السبل في العين
٣٣ ـ وجع الرجلين (الروماطيسم)
٣٤ ـ ضعف الباه
٣٥ ـ لدغة العقرب والهوام
٣٦ ـ الحمى
٣٧ ـ وجع الاذن
٣٨ ـ الجنون والصرع
٣٩ ـ علل الفم والاسنان
٤٠ ـ دود البطن
٤١ ـ الزحير (الديزانتري)

وانه ليجد الباحث في غضون التأليف كلمات قيمة ضافية عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) في الادوية التي وصفها للعلاج في الامراض

٥ ـ الأرياح
٦ ـ وجع المثانة والحصاة
٧ ـ اوجاع المفاصل
٨ ـ سلس البول
٩ ـ الاسهال
١٠ ـ عرق النسا
١١ ـ الجروح والقروح
١٢ ـ الجدري
١٣ ـ وجع البطن
١٤ ـ وجع الظهر
١٥ ـ البواسير
١٦ ـ طغيان البلغم (الزلال)
١٧ ـ اليبوسة
١٨ ـ كثرة العطش
١٩ ـ السموم
٢٠ ـ الوباء (الكلورا)
٢١ ـ الجذام
٢٢ ـ البرص ٢٣ ـ البهق
٢٤ ـ البلة والرطوبة
٢٥ ـ الفالج
٢٦ ـ اللقوة
٢٧ ـ خفقان الفؤاد
٢٨ ـ وجع الطحال والخاصرة
٢٩ ـ ذات الجنب
٣٠ ـ الرمد
٣١ ـ الصداع
٣٢ ـ السبل في العين
٣٣ ـ وجع الرجلين (الروماطيسم)
٣٤ ـ ضعف الباه
٣٥ ـ لدغة العقرب والهوام
٣٦ ـ الحمى
٣٧ ـ وجع الاذن
٣٨ ـ الجنون والصرع
٣٩ ـ علل الفم والاسنان
٤٠ ـ دود البطن
٤١ ـ الزحير (الديزانتري)

وانه ليجد الباحث في غضون التأليف كلمات قيمة ضافية عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) في الادوية التي وصفها للعلاج في الامراض

٤٩ ـ الشلجم
٥٠ ـ القرع او الدبا
٥١ ـ الفجل
٥٢ ـ الرجلة
٥٣ ـ الجرجير
٥٤ ـ الخس
٥٥ ـ الكرفس
٥٦ ـ السداب
٥٧ الحزاء
٥٨ ـ الثوم
٥٩ ـ البصل
٦٠ ـ الباقلاء
٦١ ـ الحوك
٦٢ ـ الباذروج
٦٣ ـ الفرفخ
٦٤ ـ الجزر
٦٥ ـ الحلبة
٦٦ ـ عود البلسان وحبه
٦٧ ـ علك الرومي
٦٨ ـ نارمشك
٦٩ ـ سليخة مقشرة .

اضف إلى ذلك كله ما ورد عنه « ع » في الفواكه والحبوب والالبان والادهان والأشربة والاستشفاء بها (١)

وكان ابو عبد الله « ع » لم ير بأساً من العمل الجراحي مها احتاج علاج المرض اليه . فقد قيل له « ع » الرجل يشرب الدواء ، ويقطع العرق وربما انتفع به ، وربما قتله ، فقال « ع » : يقطع ويشرب (٢) .

وكذلك كان يرى الاستشفاء بالسموم أيضاً .

قال اسماعيل بن الحسن المتطبب : قلت لابي عبد الله « ع » : إني رجل من العرب ، ولي بصر بالطب ، وطبي طب عربي ، فانا نبط الجرح ونكوي بالنار ، قال « ع » : لا بأس ، قال وقلت له : ونسقي السموم . قال « ع » : لا بأس ، قلت ربما مات . قال (ع) : وإن مات (٣) .

---

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨١ - ٣١٢ وراجع مستدرك الوسائل للنوري ج ٣ ص ٩٩ - ١٣٥ وراجع البحار ج ١٤ ص ٥٠٩ - ٨٦٩ .

(٢) الكافي . (٣) مختصر ما رواه الكافي .

أقواله (ع) في خواص بعض النباتات :

لقد اصبح الطب الحديث — كما تشهد به الصحف الطبية والمجلات الصحية والعلمية — يتراجع عند بعض النطس من الاطباء إلى عصر الأعشاب والنباتات ، وينظر اليها نظر المقدر لمنافعها الصحية ، والمعتبر لنجاح أثرها الطبيعي في معالجة الادواء المختلفة والأمراض الكثيرة ، كما اصبحت الأطباء في مختلف الظروف والمناسبات تحث مرضاها على استعمالها ، ذلك لما وجدت فيها من بساطة الاستعمال ، ونجاح الأثر ، وعدم الضرر او قلته .

ولا عجب ، فان تقدم الفكر البشري ، والسعي وراء طلب الحقيقة لابد وان يصلا بالباحث من ذوي العقول السليمة ، والافكار الصافية إلى كنه بعض ما اودع الخالق الحكيم في تلك النباتات الطبيعية من المنافع والآثار التي خلقت هي لاجلها ، ونبتت للاستثمار بها .

فاذا ما غفل اولئك الفطاحل من الأطباء والعلماء عن ذكر فوائدها أو ذهل المجربون عن استعمالها في مواضعها طيلة هذه المدة المديدة . فان علماء القرآن وأئمة الدين الحنيف لم يغفلوها ، بل ذكروا من فوائدها وخواصها ، ما ملأ الكتب ، واستفاضت به الأحاديث الصحيحة المروية عنهم . انظر إلى كتاب طب الأئمة وطب النبي (ص) وطب الرضا وكتاب كشف الاخطار وكتاب البحار وغيرها من الكتب تجد فيها ما يغنيك ، ويغنينا عن الاطالة في هذا المقام .

ولكي لا نخرج عن موضوعنا ، وهو البحث عن طب الامام الصادق عليه السلام فانا نذكر لك ، بعض اقواله الطبية ، وارشاداته الصحية في النباتات التي لم تدرك الأطباء منافعها إلا بعد ردح من الزمن ، ثم نرجيء باقي

اقواله الكثيرة فيها إلى مفصلات الكتب طلباً للاختصار .

وإليك بعضها ، مع ذكر أقوال الاطباء المطابقة لها في هـذا العصر نقدمها كنموذج لما اردناه .

١ — الثوم :

قال الامام (ع) : تداووا بالثوم ولكن لاتخرجوا إلى المسجد (١) .

وقال (ع) : قال النبي (ص) : كلو الثوم فانه شفاء من سبعين داء (٢) كلمة القاها الامام (ع) على اصحابه مرشداًلهم ، ولكن أتراهم عرفوا الادواء التي يشفيها هذا النبات العجيب ؟ اللهم لا ، حتى كشفها اليوم علم القرن العشرين وأظهر مغزى قوله وما اراد بقوله (ع) ، بعد ان كان مختفياً على الكثير .

فلقد نشرت الصحف الفرنسية مقالا للدكتور (ريم) عربته مجلة الحكمة اللبنانية تحت عنوان (هنيئاً لمن يحب الثوم) جاء فيه :

ويسرك ان تعلم ان علماء الطب ، قد عادوا الآن إلى هذا النبات مكانه اللائق به في (الفارما كوبيا) الحديث وذكروا ، ان العمال الذين شادوا هرم خوفو سنة ٤٥٠٠ ق م كانوا يكثرون من أكل الثوم ، لتقوية ابدانهم ووقايتهم من الأمراض . . وجاء في محل آخر من المجلة قوله :

وقد أظهرت تجارب الأطباء المشهورين مثل (سالين) و (بيروت) و « لوثر » و « دوبريه » وغيرهم : ان الثوم يذيب البللورات التي تتجمع في البنية فتسبب تصلب الشرائين ، ويخفض ضغط الدم في الشرائين أيضاً . وعلى هذا فقد أصبح الثوم خير مايوصف لتصلبها ، وضغط الدم العالي انتهى

---

(١) البحار ج ١٤ . (٢) البحار ج ١٤ .

وبالجملة فقد ثبت في الطب الحديث : ان الثوم منشط للعضلات القلبية، وبهذا التنشيط تنتظم الدورة الدموية ، وهو منق فعال للدم ، وبهذا النقاء يتغلب البدن على أمراض فساد الدم ، كعسر الحيض عند النساء ، وكالشيخوخة المبكرة والبواسير ، والروماطيسم ، وهو مطهر للمسالك التنفسية والشعبية ، وبهذا التطهير يفيد الربو «ضيق النفس» ويشفي بعض انواع السل الرئوي، لاسيما إذا كان الثوم ممزوجاً مع اللبن ، وذلك لتأثيره على ميكروب (كوخ) سبب السل المباشر . وهو موجد للمناعة في البدن ضد كثير من الامراض مثل الأنفلوانزا ، وحمى الضنك ، وغيرهما . وهو محسن للون البشرة ، ومحمر الوجه ، ومطهر للأمعاء من التعفنات لاسيما في الأطفال ، وبذلك يكون واقياً من الاصابة بالتيفوئيد ومفيداً للخناق « ديفتريا » ، ومسكناً للسعال الديكي ، إلى غير ذلك .

وقد قيل ان البلاد التي يكثر فيها استعمال الثوم لابد وان تطول اعمار اهلها ، وان يتمتعوا بصحة جيدة .

مضافاً إلى ما فيه من تطهير التعفنات الداخلية ، والالتهابات المعوية والقروح المعدية ، مزمنة كانت أو حادة ، كما انه يدر الحيض والبول وينفع الحصى في الكلى ، والديدان الخيطية في الأطفال .

هذا بعض ما وقفنا عليه مما وصل اليه الأطباء من فوائد هذا النبات النافع وقد ارجأنا معرفة باقي السبعين داءاً المشار اليها في الحديث إلى متصلات الكتب الطبية ، فانظر إلى جوامع كلم الامام (ع) الطبيه وما اشار اليه وهو في عصر لا يمكن ان يدرك اهلوه ما ادركه أهل هذا العصر بعد حدوث الوسائل ونمو العقل البشري بالتجارب واتساع العلوم .

٢ - البصل :

قال ابو عبد الله (ع) كل البصل فان له ثلاث خصال يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع (١) .

وقال (ع) أيضاً البصل يطيب النكهة ويشد الظهر ويرق البشرة (٢)

وقال (ع) أيضاً البصل يذهب بالنصب ويشد العصب ويزيد فى الخطا ويزيد فى الماء ويذهب فى الحمى (٣) .

هذا قول الامام الصادق (ع) منذ القرن الثاني للهجرة وقبل اكتشاف منافعه فى الطب بل يوم كان ولم ينظر اليه بعين الاعتبار ، اما اليوم وقد اخذت التجارب تحوم حول هذه النباتات الطبيعية لتدرك ما اودع فيها من الاسرار والمنافع ، فقد تمكن الدكتور الافرنسي (٤) (لاكوفسكي) بعد الاختبارات العديدة من تقرير فوائد البصل النيء مثل استخراج مصل خاص منه لمكافحة داء السرطان ، ذلك الداء الذي ما زال سراً من الاسرار ، والذي اتعب العلماء كثيراً في اكتشاف ميكروبه .

قال الدكتور (لاكوفسكي) : مازلنا نواصل التجارب ، ونأمل أن يصبح البصل النيء في المستقبل من اهم العلاجات الطبيعية لطائفة من الميكروبات .

وقال الدكتور (دامر) البصل طعام ودواء في وقت واحد ويستعمله الاطباء لاستدرار البول وامراض الكلى وللاستسقاء ويفضل اكله نياً .

وقال دكتور آخر ان البصل يحتوي على مادة لها قيمتها الطبية في تخفيف الآلام في الانف والحلق ، ومجاري التنفس ، الى غير ذلك .

---

(١) الفصول المهمة للحر العاملي ١٣٧ (٢) الفصول المهمة ١٣٧
(٣) كشف الاخطار (٤) مجلة الحكمة البيروتية .

هذاما وصل اليه الطب الحديث من منافع البصل والمستقبل كفيل بمعرفة باقي ما ذكره الإمام منها ، فتأمل وانصف في حكمك على معرفته الطبية وانها مستقاة من آبائه واجداده عن الوحي .

٣ — الفجل :

قالت الاطباء فى خواص هذا النبات انه مفرز للبول، منبه للمعدة على الطعام ومقولها ، ومنبه لعصاراتها ، ومسهل لاهضم ، ويعالج به الروماطيسم ، وهو ملطف ومحلل للارياح « الغازات » وقد يولدها ، ومطهر للصدر ، ومشهي للطعام ، وشاف للسعال مسلوقا ، ومفتت لحصى الكبد ومخرج للبلغم .

وقد قال الامام (ع) قبل اثنى عشر قرناً :

كل الفجل فان فيه ثلاث خصال ، ورقــه يطرد الرياح ، ولبه يسهل البول ويهضم ، واصوله تقطع البلغم «١»

٤ — الجزر :

قالت الأطباء فى خواصه : الجزر يحتوي على مقدار من السكر النباتى وهو سريع التمثل ، عسر الهضم فى معد الاطفال يفيد عصيره لليرقان ويكون مع العسل مقويا للباه ، وكذلك يفيد فى علاج الكبد والامعاء ويوصف للمصابين بضيق الصدر ، ومرض الاعصاب ، ويساعد فى نمو اجسام الاطفال ويزيل الرمل ، ويقضي على الديدان اذا اكل غير مطبوخ ويزيد الدم وينشطه فى البدن، الى غير ذلك من الخواص التي أدركها الطب اليوم ونصحت به الاطباء

وقد قال الامام الصادق « ع » فى حديث روي عنه « ع » :

الجزر امان من القولنج ، ومفيد للبواسير ، ومعين على الجماع «٢»

(١) الكافي لثقة الاسلام الكليني (٢) الفصول المهمة

اكل الجزر يسخن الكليتين و يقيم الذكر «١»

٥ — الباذنجان :

قالت الاطباء في منافعه وخواصه: الباذنجان غذاء ملائم لاكثر الامراض فهو مقو للمعدة ، وملين للصلابات ، ومع الخل مدر للبول ومطبوخه ينفع الطحال والمرة السوداء .

وقال الامام أبو عبد الله «ع» :

كلوا الباذنجان ، فانه جيد للمرة السوداء ، ولا يضر الصفراء «٢»

كلوا الباذنجان ، فانه يذهب الداء ولا داء له «٣» .

٦ — القرع - (الدبا)

قالت الاطباء فيه : الدبا أو القرع وهو اليقطين ايضاً : مبرد ومرطب للدماغ ، ومفتح للسدد ، ومدر للبول وملين المعدة لا سيما معدة المحرورين ومفيد لليرقان والحميات الحارة ، ويستعمل كثيراً لذوي الارق الشديد ، واما الذين تعدوا منتصف العمر وانحطت قواهم وعقولهم فعليهم بان يكثروا من اكل القرع فان فيه مزايا خاصة لتجدد القوة والانسجة .

وقال الامام جعفر بن محمد «ع» : الدبا يزيد في العقل والدماغ ، وهو جيد لوجع القولنج «٤» .

اقواله في بعض الفواكه والخضر

يؤكد العلم ان للفواكه والخضروات تأثيراً خاصاً في سير بعض الامراض بل اكثرها لذلك ترى اكثر الاطباء ينصح بالاكثار من اكلها لا سيما المصابين

---

(١) كشف الاخطار (٢) كشف الاخطار (٣) كشف الاخطار (٤) كشف الاخطار

بالرثية والنقرس واشباهها ومما لا شك فيه أن تأثير الثمار فى الجسم البشري كسواها من أنواع الغذاء اعني ان ذلك تابع لتركيبها الكيماوي ونسبة المواد الحمضية والسكرية والآزوتية الموجودة فيها . لذلك ترى ان البعض منها هاضما والبعض الآخر ملينا وقسما مـــدرا ورابعا مقويا الى غير ذلك من الخواص والتأثيرات فى الأبدان .

ثم ليعلم أن اهم ما يلحضه علم حفظ الصحة فيها ويأمر به الاطباء مرضاهم فى ارشاداتهم الصحية قبل ملاحظة خواصها ومنافعها ، هو تنظيفها وغسلها مما لصق بها من الخارج ، كالغبار ، والتراب ، وما علق بايدي الفلاحين ، والباعة ، من كل ما يحمل الجراثيم الخارجية ، فانه اذا اكلها الانسان غير مطهرة بالماء دخلت البدن وهي حاملة لتلك الجراثيم واستوطنت المعـــدة ، فيحدث عند ذلك ما كان يحاذر منه ، من فتك الميكروب فى الجسم وعلى هذا ترى الاطباء لا زالوا ينصحون مرضاهم ومن استشارهم بغسل كل فاكهة قبل اكلها ، ويحذرونهم من اكلها قبل الغسل .

وقد امر الامام الصادق عليه السلام بذلك قبل ان يدرك الطب ذلك وقبل أن يلتفت اليه اي معالج وطبيب . حيث يقول « ع » :

إن لكل ثمرة سما ، فاذا اتيتم بها فأمسوها الماء ، واغمسوها فيه «١»

واليك بعض تلك الفواكه والخضر على سبيل المثال اذ لم يمكن بيان كل ما ورد عنه « ع » فى مثل هذا الكتيب الصغير .

١ - العنب

قال الامام « ع » : العنب ﴿ الزبيب الطائفي خ ل ﴾ يشد العصب ، ويذهب النصب ، ويطيب النفس «٢»

---

(١) طب الائمة وكشف الاخطار وغيرها (٢) كشف الاخطار

وقال « ع » : شكا نبي من الانبياء الى الله الغم فأمره بأكل العنب وفي لفظ ان نوحا شكا الى الله الغم فاوحى الله اليه ان كل العنب (١)

وقال الاطباء ان للعنب فعلا ثلاثياً · فهو مسهل للمعدة ، ومنق الدم ومغذ للبدن وعصيره مجدد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات المعدية ، ونافع في مداوات الكبد والكليتين ، ويشفي من داء الحميات ، وان المداوات به تفيد في الدسببسيا (سوء الهضم) والنقرس وامراض القلب والصفراء والريح والبواسير ، ويخفف من وطأة السل والسرطان ، وفيه من الفيتامينات أ - بي - سي .

وتقول علماء الطب الكيماوي انه ينشط عصارة الببسين في المعدة وينفع الطحال واحتقان النخاع ، وفيه شيء من الأرسنيك (مستحضر من سم الفأر) به يجمل الوجه والبشرة ، وعلى هـــذا قد يفيد المصابين بالزهري « السفلس » والسل والسرطان .

فتأمل كلمات الامام (ع) على اختصارها ، تراها تشير الى اكثر هذه المنافع التي ادركتها الاطباء فان شد العصب وذهاب النصب وطيب النفس نتاج اكثرها.

٢ — التفاح :

قال الامام (ع) : كل التفاح فانه يطفي الحرارة ، ويبرد الجوف ، ويذهب الحمى (٢)

وقال «ع» : لو علم الناس ما في التفاح ما داووا مرضاهم إلا به ، الا انه أسرع شيء منفعة للفؤاد خاصة ، فانه يفرحه «٣»

---

(١) وسائل الشيعة ص٢٩٩ (٢) الوسائل ج ٣ ص ٣٠ (٣) كشف الاخطار

وقال «ع» : اطعموا محموميكم التفاح ، فما شيء انفع من التفاح «١» هذا ما ذكره الامام (ع) عنه في كلماته القصار الجامعة لكل ما أطراه الاطباء قال الاطباء فيه . التفاح مفرح ومقو للقلب والدماغ والكبد أكلا وشماً وهو مفيد للخفقان والربو (ضيق النفس) ومصلح لضعف فم المعدة ومنبه لشهوة الطعام ، ومطبوخه مصلح للسعال ، وهو مخفف لأمراض الجلد وجالب للنعاس

٣ — الرمان :

قال الامام «ع» اطعموا صبيانكم الرمان فانه اسرع لشبابهم «٢»

وقال (ع) كلوا الرمان بشحمه فانه يدبغ المعدة ، ويزيد في الذهن (٣)

وقال الاطباء الرمان مصف للدم ، ومولد للخلط الصالح ومنعظ المحرورين ومفتح للسدد ، وملين للبطن ، ومـــدر للبول ، ومقو للكبد ومفيد لليرقان والطحال ، وخفقان القلب ، والسعال الحاد ، وهو مصف للصوت ، ومحسن لرونق الوجه ، ويروي به البدن ، وينفع من الديدان .

أنظر الى كلمة (اسرع لشبابهم) تجد جل هذه الخواص التي ذكرتها الاطباء موجودة فيها إذ لا يسرع شبابهم الا إذا صفي الدم وتولد الخلط الصالح وقوي الكبد وازداد رونق الوجه وحصل رواء البدن ، ثم انظر أيضاً الى قوله (ع) يدبغ المعدة ، فان المعدة اذا دبغت قويت على الهضم ، والغذاء اذا هضم جيداً اولد الدم الصالح واذا صلح الدم صلح البدن واذا صلح البدن زالت عنه كل ما ذكره الاطباء من الامراض فيا لها من كلمة جامعة لا يفهمها أهل ذلك العصر ويدرك مغازيها العلم الحديث .

---

(١) الكافي للكليني «٢» الوسائل «٣» الكافي للكليني

٤ السفرجل :

قال فيه الامام الصادق «ع» السفرجل يحسن الوجه ، ويجم الفؤاد «١»
وقال «ع» من أكل سفرجلة على الريق طاب ماؤه وحسن ولده «٢»
قال «ع» اكل السفرجل قوة للقلب ، وذكاء للفؤاد «٣»

هكذا وصفه الامام «ع» وهو لعمري لا يعدوا أقوال الاطباء بعد التجارب والتحقيق العلمي والعملي :

قال الاطباء السفرجل يحسن الوجه ، وهو مفرح ومقو للقلب والدماغ والمعدة ، ومسر للروح الحيوانية والنفسانية ومنعش لكثير من الاعضاء كالكلية والمثانه لذلك يدر البول ويلين المعدة ويخفف من الآمها .

٥ — التين :

قال ابو عبد الله «ع» ان التين يذهب بالبخر ويشد العظم ، وينبت الشعر ويذهب بالداء ولا يحتاج الى دواء «٤»

ذكر الامام «ع» أكثر خواص هـــذه الفاكهة على مقدار ادراك سائليه ولكن العلم والتجارب أثبتتها وادركت غيرها

قال الاطباء ان التين هو الثمر المحتوي على العناصر المغذية والمادة السكرية التي تفيد الجسم فائدة جلى ، فهو يحسن الهضم وينظم الافراز ويقوي الجسم وينضر الوجه وينشط العضلات ، وإذا أخذ ليلا نظم حركات الامعاء واكسب الجسم صحة ونشاطاً ، وبالجملة فهو لذة وغذاء وصحه وقيل إنه يفيد في علاج الكبد ، وفساد الدم ، ويوصف لدائي السل والسرطان .

---

(١) (٢) (٣) الوسائل ٣٠١ . (٤) الكافي للكليني

٦ – التمر :

قال الامام جعفر بن محمد (ع) ، وقد وضع بين يديه طبق فيه تمر : ما هذا ؟ فقيل له : البرني فقال : ان فيه شفاء «١»

وقال (ع) : ان فيه شفاء من السم ، وانه لا داء فيه ولا غائلة ، وان من أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتلت الديدان في بطنه «٢»

أراد الامام (ع) ان يحث الناس على اكله بقوله فيه شفاء ، وبقوله لا داء فيه ولا غائلة ، دون ان يفصل منافعه وخواصه لما فيه من كثرة الفوائد التي لا يستغني عنها ، ولكن العلم أظهر خواصه وصرح بها بعده إذ

قال الاطباء : ان في التمر فوائد طبية كثيرة فهو يسخن البدن ويخصبه ويولد دماً غليظاً ، وان نقع في الحليب نفع من ضعف الباه ومقليه ، يفيد في الآفات الالتهابية ، والسعال اليابس ، وللالتهابات الرئوية وتهيجات الطرق البولية ، اما البسر فهو نافع في نفث الدم و الاسهال واصلاح اللثة ، الى غيرها من المنافع ، وقيل انه نافع للسرطان أيضاً ذلك لما يحتوي عليه من مادة (الماغنيزيوم) التي لها العلاقة الوثيقة مع السرطان ، ولقد ثبت لدى المتتبعين ان اهالي الاراضي التي تزرع التمر بكثرة تكون قليلة الاصابة بهذا المرض، وسوف يظهر مستقبل الطب أكثر من هذه الخواص لهذا التمر النافع الطيب حتى يعلم مغزى كلمة الامام (ع) في قوله فيه : « فيه شفاء و لا داء فيه » التي تشير الى كثرة فوائده وخواصه ، فيا لها من كلمة جامعة .

---

(١) الكافي

(٢) الكافي لثقة الاسلام للكليني .

٧ — الخس :

قال ابو عبد الله (ع) : عليكم بالخس فانه يصفي الدم ﴿١﴾

وقال الاطباء : ان الخس لغني بانواع الفيتامينات ، وفيه كمية كبيرة من الاملاح المعدنية ، بشرط ان يؤكل منه ما كان عرضه على الشمس أكثر ، لا ما اختبأ داخله .

وقال الكيماوي (نيومان) : الخس بوفرة غناه بالحديد ، يزيد كريات الدم الحمراء فيزيد الاحمرار في خدود آكليه وشفاههم ، ويهديء الاعصاب ويجلب النعاس ويولي العينين بريقاً ويزيد في لون الشعر وكله من تنقية الدم . فتأمل في كلمته الجامعة سلام الله عليه .

٨ — الهندباء :

عن ابي عبد الله (ع) : نعم البقلة الهندباء ﴿٢﴾

وعنه أيضاً (ع) : عليك بالهندباء فانه يزيد في الماء ويحسن الولد (٣)

وعنه أيضاً (ع) : من بات وفي جوفه سبع طاقات من الهندباء أمن من القولنج ليلته (٤)

وقال الاطباء : ان الهندباء تفيد في ضعف الاعصاب ، وضعف البصر وفساد الدم ، وانها ترد قوى الاجسام بعد الضعف والهزال ، وتنشط القلب والكبد والكليتين ، وتنفع الرحم في تعديل مزاجه وتنقيته ، وتقضي على الحميات

يا لله ما ابلغ كلمة الامام (ع) وما اجمعها لجل تلك الخواص التي عرفها الاطباء وذكرتها بعد تلك المدة غير القصيرة . تأمل تجد أن في كلمة ـ يزيد في الماء ويحسن الولد ـ خاصتين وفائدتين لم تحصلا الا بعد تعديل مزاج

---

(١) رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي . ٢-٣-٤ في البحارج ١٤

الرحم وتنقيته ، وبعد أن يقوي القلب والعصب وبعد أن تعود قوى الاجسام بعد الضعف والهزال فكأنه (ع) كان قد ذكر جميع تلك الآثار بذكر نتائجها من الزيادة في الماء وتحسين الولد .

الى هنا نكتفي بهذا النزر القليل مما ورد عن الامام ابي عبد الله عليه السلام من الخواص والمنافع التي ذكرها للفواكه والخضر كنموذج لبيان وفور علمه وجزيل معرفته بهذا العلم الجليل . اذ لو أردنا سرد جميع ما عثرنا عليه فضلاً عما لم نعثر عليه في الكتب والمجاميع لضاق بنا هذا المختصر . على أن الباحث مهما راجع كتاب الاطعمة والاشربة من فقه الامامية ، وامعن النظر فيه ، وفيما فيه من الآداب الجمه الواردة في الاكل والشرب ، قبلها وحينها وبعدها ، وما جاء من البحث في وقتها ، وبيان اقسام المأكولات والمشروبات ومضارها وفوائدها ، والتفصيل الوارد في اللحوم والحبوب والفواكه والالبان والادهان وغيرها ، ليجد هناك علماً جماً ، وابحاثاً ضافية قيمة في الطب مما يجعلك مذعناً خاضعاً بان الامام الصادق عليه السلام ، في مقدم المتخصصين بعلم الابدان ، قبل علم الشرايع والاديان ، ويخبت (١) الى انه صلوات الله عليه هو الحافل بعبئه الثقيل ، وعنده بجدته وهو ابن بجدته (٢) وبيده عقدته وهو ابن عذره (٣) وهو العالم الوحيد بحقائقه ودقائقه وعنده قذاذاته وجذاذاته (٤) . فكما هو المصدر والمورد في العلوم الدينية ، كذلك تنتهي اليه تلك الدروس العالية في علم الابدان .

---

(١) يطمئن ويخضع . (٢) يقال ذلك للعالم بالأمر . والبجدة باطن الامر وحقيقته . (٣) يقال لمن بيده الحل والعقد ، وللعالم بكل جزئيات المسألة . (٤) القذاذات القطع الصغار تتساقط من الذهب والجذاذات قطع الفضة ويراد منه الاحاطة بكل جزئيات الامر ودقائقه

من كلماته الخالدة في الطب :

إن للامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من الكلمات الطبية الخالدة والآراء القيمة الحكيمة مالو نظر بها وعمل عليها لصلحت ان تكون اسساً ثابتة عامة تقوم عليها دعائم الطب ، واركان حفظ الصحة في كل عصر ومصر و لكل جيل من الاجيال فلعمري انها الكلم القصار التي قصرت عن فهم كنه مراميها نطس الاطباء و فحول العلماء اللهم إلا بعد مرور العصور وتعاقب الاجيال وتقدم العقل البشري ؛ وكثرة التجارب العلمية الواسعة .

واليك فيما يلي بعض ماعثرنا عليه من تلك الكلم الطيب نقدمها كشاهد عدل على ما نقـــول :

قال الامام ابو عبد الله ﴿ ع ﴾ كان طبيب يسمى المعالج فقال موسى ابن عمران (ع) يارب ممن الداء ؟ قال مني قال (ع) : وممن الدواء ؟ قال: مني . قال : فما يصنع الناس بالمعالج ؟ قال : يطيب بذلك انفسهم . فسمي المعالج طبيباً لذلك (١) .

وقال (ع) : اجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء (٢) .

وقال (ع) : من ظهرت صحته على سقمه فعالج نفسه بشيء فمات فانا إلى الله منه بريء وفي لفظ ، فقد اعان على نفسه (٣) .

وقال (ع) غسل الاناء ؛ وكسح الفناء مجلبة للرزق (٤) .

---

(١) البحار ج ١٤ (٢) الفصول المهمة « ٣ » الفصول المهمة وقد ورد هذا المعنى في غير واحد من احاديث اهل البيت والمراد سحق الادواء بالطبيعة مهما تمكنت منه وعدم تعديل المزاج بالعلاج .

(٤) كتاب الاثني عشرية . والظاهر ان القصة من هذا الحديث هو الحث على النظافة و الكسح هو الكنس والفناء ساحة الدار .

وقال (ع) : اقلل من شرب الماء فانه يمد كل داء (١) .

وقال الامام ـ ع ـ : ينبغي للشيخ الكبير ان لاينام إلا وجوفه ممتلىء من الطعام فانه اهدأ لنومه و أطيب لنكهته (٢) .

وقال ـ ع ـ لعنوان البصري : إياك وأن تأكل مالا تشتهيه ، فانه يورث الحماقة والبلة ؛ ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالا ، وسم بالله واذكر حديث رسول الله : ما ملاء آدمي وعاء شراً من بطنه ،فاذا كان ولابد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه و ثلث لنفسه (٣) .

وقال ـ ع ـ : كل داء من التخمة إلا الحمى ، فانها ترد و روداً (٤)

وقال ـ ع ـ : إن عامة هذه الارواح (جمع ريح) من المرة الغالبة أوالدم المحترق او البلغم الغالب ، فليشغل الرجل بمراعاة نفسه ، قبل أن يغلب عليه شيء من هذه الطبايع فيهلكه (٥) .

وقال ـ ع ـ : إن المشي للمريض نكس (٦) .

اقول : وفي هذا الحديث الشريف حث وتأكيد على الراحة المطلوبة للمريض مطلقاً كما عليه جل اطباء هذا العصر بل كلهم .

وقال ـ ع ـ لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت ابدانهم (٧) .

وقال ـ ع ـ النوم راحة الجسد ، والنطق راحة الروح ، والسكوت راحة العقل (٨) .

وقال ـ ع ـ ليس فيما اصلح البدن اسراف ، انما الاسراف فيما اتلف

« ١ » كشف الاخطار . « ٢ » كشف الاخطار « ٣ » البحار ١ ـ ١٦٩ و في الكنى والالقاب للقمي في ترجمة البصري « ٤ » رواه البرقي في المحاسن « ٥ » البحار ج ١٤ ص ٥٤٦ « ٦ » الكافي .
« ٧ » الفصول المهمة . « ٨ » مجالس الصدوق .

المال وأضر البدن ﴿١﴾

وقال ﴿ع﴾ : الدواء اربعة ، الحجامة والطلاء والقي والحقنة (٢)

وقال ﴿ع﴾ : لا تدخل الحمام إلا وفي جوفك شيء يطفي عنك وهج المعدة وهو أقوى للبدن ، ولا تدخل وانت ممتلىء من الطعام (٣)

وقال (ع): الاستلقاء بعد الشبع يسمن البدن ويمريء الطعام، ويسل الداء (٤)

وقال « ع » وقيل عن الرضا (ع) : لا تقربوا النساء من اول الليل صيفاً أو شتاء ، وذلك لان المعدة والعروق تكون ممتلية ، وهو غير محمود اذ يتولد منه القولنج والفالج ، واللقوة، والنقرس ، والحصاة ، أو تقطير البول او الفتق أو ضعف البصر . فان اردت ذلك فليكن في آخر الليل فانه أصح للبدن ، وارخى للولد ، واذكى للعقل في الولد ، ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها وتكثر مداعبتها وتغمز ثديها ، فانك اذا فعلت ذلك غلبت شهوتها ، واجتمع ماءها ، لان ماءها يخرج من ثديها والشهوة تظهر في وجهها وعينيها ، ثم اشتهت منك مثل الذي تشتهيه منها ، ولا تجامع امرأة الا وهي طاهرة ، فاذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً . ولكن تميل على يمينك . ثم انهض للبول اذا فرغت من ساعتك فانك تأمن من الحصاة . ثم اغتسل (٥).

وقال (ع): ان للدم وهيجانه ثلاث علامات : البثرة في الجسد والحكة في الجلد ودبيب الدواب (ما يتخيله الانسان كدبيب النمل في بدنه) (٦) .

وقال (ع) : الحمى تخرج في ثلاث ، في العرق ، والبطن ، والقي .

وقال (ع) : خير ما تداويتم به الحجامه والطلي والحمام والحقنة .

وقال (ع) : اغسلوا ايديكم قبل الطعام و بعده فانه ينفي الفقر ويزيد في

---

(١) الفصول المهمة (٢) الفصول المهمة (٣) الفصول المهمة (٤) بحار الانوار

(٥) البحار وغيرها (٦) هذا الحديث وما بعده عن البحار ج ١٤

العمر . أقول : بهذا أمر الامام الصادق أصحابه وتابعيه ، وعلى العمل به حثهم مشوقاً إياهم بقوله (ع) ـ انه ينفي الفقر ويزيد في العمر ـ ومعلوم ان نفي الفقر واطالة العمر هما من نتاج الصحة الحاصلة من غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، وقد اثبت الطب وحكمت التجارب العلمية والعملية الكثيرة ان عدم غسلها مما يوجب الأمراض المختلفة التي قــد ينتهي بعضها بالموت او الفقر المحتم ، ذلك لان اليد الملوثة بميكروبات الأمراض بواسطة لمس الاجسام الخارجية اذا ما لمسنا بها الطعام ولم نغسلها ثم أكلناه ملوثاً انتقل الميكروب الى الفم ومنه الى المعدة ومن المعدة الى الكبد والقلب ثم ساير انحاء البدن ومن البديهي ان الميكروب يفتك اين ما وجد مجالا للفتك أو محلا مستعداً لقبول نموه وتفريخه وبالاخير الفتك به والاضرار بجميع البدن . فاذا مرض الانسان بسبب هذا الميكروب المتنقل الى البدن بواسطة اليد الملوثة لا شك انه يخسر ماله بالمداوات وعمره باستفحال ذلك المرض اما اذا التزم بغسل اليدين ولم يجعل مجالا لدخول الميكروب الى جسمه اكتسب الصحة ولم يخسر ماله فينفى عنه الفقر ولا عمره فتطول حياته . وهذا هو المقصود من قول الامام (ع) انه ينفي الفقر ويزيد فى العمر .

وانما شرحت هذه الكلمة دون غيرها ولو على وجه الاجمال فليس لان غيرها لا تحتاج الى بيان او تفصيل « وان احتاج شرح الجميع الى مجلد ضخم » ولكن لأبين لك ان الامام (ع) كان يجمل فى القول ويشير فى أكثر كلمه القيم الى أفيد الخواص وانفع ما يمكن ان يدركه السامع يومئذ وكأنه كان يلاحظ على الدوام حال المستمع وقابلية السامع ، وينظر الى القول المشهور ـ كلم الناس على قدر عقولهم ـ حرصاً على الفائدة ، وطلباً للنفع العام على ان كلامه (ع) كان بعيد المرمى ، عظيم المغزى ، يدركه كل عقل على

حسب تقدمه وتدرجه ، لذلك ترى في هذا العصر وقد اكتمل العقل ، أخذ يدرك منه ما لم يكن تدركه العقول الماضية ، وهذا وأيم الحق هو الكلام الملهم ، والعلم السماوي الذي علمهم اياه جدهم النبي الأمين عن جبرائيل عن الله تعالى وما ابلغ قول من قال .

وتابع اناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرائيل عن الباري

الصادق (ع) والطب الروحي

كما ان الأجسام تمرض، فتفقد صحتها، وتحتاج الى العلاج بما يعدل انحرافها ويعيد اليها صحتها المفقودة ، كذلك الأرواح والنفوس ، فانها تمرض بانحرافها الى الرذائل والصفات الذميمة ، فتحتاج عند ذلك الى العلاج بما يقوم اودها ليرجعها سيرتها الاولى من صحة الاتصاف بالاخلاق الفاضلة والصفاة الحميدة

وبعبارة أوضح ان الارواح والنفوس اذا تغلبت عليها الرذائل من الصفات وتسيطرت عليها الشهوات الحيوانيـــة والعواطف الدنيئة انحرفت صحتها ، وفقدت رونقها الروحي وميزتها النفسية التي بها امتازت عن الجسمية الكثيفة وعدمت شفافيتها ولطافتها التي كانت عليها حال صحتها يوم كانت سليمة .

ولقد عالج الحكماء والفلاسفة، تلك الادواء النفسية ، والاسقام الروحية بانواع العلاجات ، منذ العصور الغابرة حتى اليوم ، ووضع علماء النفس واساتذة التربية ، احكم القوانين واتقن النظم والقواعد لاصلاحها فلم يفلحوا اذ لم يجدوا لها علاجاً حاسماً ، ولم يعثروا على دواء ناجع لعلاجها سوى الدين السماوي الذي هبط على الانبياء والرسل ، ليرفع هذه الانسانية من حضيض الرذائل والجهل الى مرتفع الفضائل والعرفان والذي جاء لاسعاد هذا الخلق كيما يعيشوا بسلام وهناء ، وليتبلج في الارض صبح الرشاد ، فتزهو مخضرة

الجوانب برياض النعيم ما دام الناس يعملون بقوانينه ويتبعون سبل تعاليمه وارشاداته . فما من طبيب أدرى بادواء النفوس من باريء النفوس ولا حكيم أدرى باسقام الأرواح كالدين ، ولا عالم اعرف بطرق علاجها وأسباب شفائها كالشارع المقدس .

اذاً فان للدين أثره الفعال في تطبيبها ، وان له لمعاجز باهرة في اصلاحها تفوق معاجز الطب الفنية في مداواة الاجسام .

فما اشبه الدين بالسحر ، لولا ان الدين خير كله ، والسحر شر كله وما أشبه مبلغيه بنطس الأطباء الذين عرفوا الداء والدواء ، فارجعوا الامزجة المنحرفة الى صحتها واعتدالها .

فلقد جاء الدين الاسلامي الحنيف بالاخلاق الفاضلة ، حفظاً لصحة النفوس البشرية ، وأمر متبعيه عليها وقاية لارواحهم ونفوسهم من شرورها ، كما ان النبوة الكبرى قد تكفلت بصلاح البشر من ناحيتي الروح والجسد فكانت فيها حياته وسعادته ، وتقدمه ورقيه ، في عالميه الدنيا والآخرة . قال الله تعالى:

(استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) . وقال تعالى :

من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وقال عز من قائل

قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وقال سبحانه :

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

هذا وقد بعث النبي الامين صلى الله عليه وآله ، وهو ينادي : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، فعاش ﴿ ص ﴾ طيلة حياته الشريفة ، وهو يبذر تعاليمه الحكيمة ، ومكارم الاخلاق الاسلامية الفاضلة ، في نفوس الأمة ، وينير لها طريق الحياة السعيدة روحا وجسما ، حتى رفعه الله تعالى اليه ، فلم يهمل هذه الناس سدى ، بل خلف فيهم الثقلين ، كتاب الله ، وعترته ، فكان

القرآن المجيد كتاب الله الصامت والعترة النبويـــة كتابه الناطق ، الذي يوضح للناس ما خفي عليهم من تعاليمه الاصلاحية ، ويرشدهم بتوضيحه الى ما لم يدركه سواهم من الكنوز القرآنية الخفية .

أجل ولقد كانوا هم الادلاء على الخير والهـــدى والمرشدين الى طرق السعادة والحياة الحقيقية ، كما كانوا هم الاطباء للنفوس بكل ما تحتاج من العلاجات الروحية ، والمداواة النفسية .

لذلك نرى كل امام من اولئك العترة الطاهرة كان يعالج بعد النبي (ص) ادواء أهل عصره بنوع من العلاج الروحي يوافق عقولهم ويلائم مداركهم كطبيب يواسي مرضاه بكل عطف وحنان ورأفـة حتى يوصلهم الى ساحل الصحة والسعادة .

ولما كان عصر الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عصراً مليئاً بالأهواء المتعاكسة ، والآراء المختلفة ، والاخلاق المتفاوتة ، والمذاهب المتشعبة ، عصراً تفسخت فيه الاخلاق الاسلاميـــة ، و تسممت النفوس ، وانحرفت صحة الارواح ، كان الامام (ع) يرى نفسه ـ بطبيعـة الحال وحسب وظيفته السماوية ـ هو الطبيب المسؤل امام الدين عن صحتها والمتكفل بتطبيبها ومداواتها .

وكيف لا يرى نفسه كذلك ، وهو كتاب الله الناطق ، الذي قال النبي «ص» فيه وفي آبائه وفي القرآن : (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً)

نعم كان ابو عبد الله (ع) يرى نفسه هـو المسؤل عن علاج هذه الأمه ومداواة أمراضها الروحية ، التي انتابت نفوسها بطغيان الرذائل على الفضائل ، فكان (ع) يطبها بانواع من أقواله الحكيمة ، ومختلف ارشاداته

القيمة ، وتعاليمه الشافية ، حسب مداركهم وشعورهم شأن الفيلسوف المداري والطبيب المداوي .

واليك نموذج من طبه الروحي ومعالجته النفسية التي اراد بها شفاءها من اسقامها الفتاكة بالفرد والمجتمع ، مكتفين بالقليل عن الكثير ، لعدم اتساع هذا الجزء علا اداء كل ما ورد عنه عليه السلام في هذا الباب . فنقول :

١ — الغضب :

الغضب حالة في النفس تثيرها أمور منتظرة أو غير منتظرة ، فتخرج العقل عن استقامته ، وتصد المغضوب عن رشده وصوابه ، وتفقده سلطانه على فكره وادراكه فيختل مزاج الذهن ، وتتهيأ الاعضاء فيها للفتك والانتقام ذلك لان الدم يثور فيها فيسرع الى القلب ، ثم ينتشر منه في العروق ، ويرتفع الى أعالي الرأس ، فيحمر الوجه ، و تنتفخ الودجان ، ثم يجيش فى الصدر فيعبس الوجه ، وتنكمش الشفتان عن الأسنان ، وهناك تتأهب الاعضاء بسبب هذا الثوران فى الدم للفتك والانتقام ، وقد قيل فيه :

ولم ار فى الاعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

وأهم أسبابه الوراثة أو الامراض أما الاسباب المهيئة له فكثيرة منها المزاج العصبي والتسممات الحادثة عن المآكل الحادة والمشروبات الروحية ، كما ان للمحيط والبيئة والتربية الأثر البليغ فى احداث الغضب وشدة وطأته .

قال بعضهم : ان من الاسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والمزاح والهزء والمهارات والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة ، ولا خلاص منه مع بقاء هذه الاسباب الا بازالة هذه الاسباب الممرضة الى اضدادها .

وان للغضب من العواقب كثيراً من الامراض التي لا يستهان بها كالاصابة بالسل الرئوي ، وسوء الهضم ، والتهاب الاعصاب ، والنزيف الدموي بانواعه وقيل ان الغضوب قد يصاب بحالة شبيهة بداء الكلب ، بحيث اذا عض احداً مثلا أدى الى موته ، مما يدل على ان فى ريق الغضبان سماً زعافاً ، لا يؤثر على صاحبه فحسب ، بل يؤثر أيضاً على من يقع عليه .

فالغضب داء روحي ومرض نفساني خطير يضر بصاحبه أولا وكثيراً ما يتعداه إلى الغير . ويوقع صاحبه في ارتكاب الجرائم من غير واعية أو ادراك

وكم عالج الحكماء والفلاسفة والاطباء والعلماء هذا الداء بانواع العلاجات رجاء شفائه ، ولم يفلحوا . ولكن الدين الاسلامي الحكيم قد عالجه بأخف العلاجات وانجعها . وصده صداً بمختلف الواقيات . كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله :

إذا وجد احدكم من ذلك (أي الغضب) شيئاً فان كان قائماً فليجلس أو جالساً فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفيها إلا الماء « ١ » .

وقال الامام الصادق (ع) : الغضب مفتاح كل شر (٢) .

قال « ع » : الغضب ممحقة لقلب الحكيم ـ ٣ ـ .

وقال « ع » : من لم يملك غضبه لم يملك عقله ـ ٤ ـ

وقال « ع » : اذا لم تكن حليما فتحلم . وفي الآخر : كفى بالحلم ناصراً (٥)

وقال « ع » : من ظهر غضبه ظهر كيده ومن قوى هواه ضعف حزمه (٦)

---

(١) البحار وكشف الاخطار (٢) الكافي في باب الغضب

(٣) الكافي (٤) الكافي (٥) الكافي (٦) البحار ج ١٧

٢ الكذب :

الكذب انحراف النفس عن صحة الصدق ، والتواء الروح عن اداء واجبها الانساني ، وهو مرض فردي واجتماعي خطير فيحدث في صاحبه من اعراض الرذائل كالغش والنفاق والمداهنة والغدر والخيانة والرياء وخلف الوعد ونقض العهد وغيرها ، مما كان الصدق واقياً له منها ، وحافظاً للنفس من الوقوع فيها على ان الكذب هو نفسه قبيح لا يليق بالأنسان معتدل المزاج ، أن يتصف به ، فيكون عضواً فاسداً مفسداً في مجتمعه ، يهلك نفسه ويعدي الآخرين فيمرضوا بمرضه .

وقد قال الامام الصادق « ع » فيه : لا داء ادوى من الكذب «١»

من كثر كذبه ذهب بهاؤه ﴿٢﴾ من صدق لسانه زكا عمله ﴿٣﴾

ان الله خلق للشر اقفالا ومفاتيح تلك الاقفال الشراب والكذب شر من الشراب (٤) .

إياك وصحبة الكذاب ، فان الكذاب يريد أن ينفعك فيضرك ، ويقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب «٥»

٣ — الحسد :

الحسد كراهة نعمة الغير وحب زوالها ، وان الحاسد لم يزل يتطلع الى نعم الله على عباده ، فلا يهنأ له حال ، وما الطف ما وصف الحساد ابو الحسن التهامي بقوله :

اني لارحم حاسدي لشر ما ضمت صدورهم من الاوغار

---

(١) الحليه ج ٧ ص ١٩٦ (٢) الوسائل (٣) الكافي
(٤) جامع السعادات (٥) كتاب العشرة

نظروا صنيـع الله بي فعيونهم في جنة و قلوبهم في نار

وهو داء في النفس اشد من داء البخل ، لان البخيل يظن بماله على الغير اما الحسود فانه يظن بمال الله و نعمه على عباده ، ويتألم من وصوله الى غيره فهو العدو بلا سبب وطالب لزوال النعمة عن غيره وان لم تصله ولقد قال رسول الله ـ ص ـ : إن لنعم الله اعداءاً . قيل له ومن هم يارسول الله ؟ قال (ص) : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

وهذا الداء النفساني لم يحدث إلا عن خبث في الروح ، وانطواء النفس على الشر ؛ فاذا ماتمكن من امرء أفسد اخلاقه ، وساقه الى القبائح والجرائم واوقع صاحبه في اشد الآلام النفسية ، والاسقام البدنية ، كما قيل :

افسدت نفسك بالحسد وهدمت اركان الجسد

واذا حصل في امة اوقعها في الشقاق والنفاق ثم الدمار ، واذا استولى على احد ارجع عذابه على صاحبه ، لان الحسود دائم العذاب ، مستمر الالم . ولذا .

قال الامام الصادق (ع) : لا يطمع الحسود في راحة القلب (١) .

وقال (ع) : ليس لحسود غنى (٢) .

وقال (ع) : الحسود ذو نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم ، وانه لكثير الحسرات متضاعف السيئات ، دائم الغم وان كان صحيح البدن (٣)

وقال (ع) : ان الحسد يأكل الايمان ، كما تأكل النار الحطب (٤)

---

(١) الخصال باب العشرة .

(٢) الحادي عشر . (٣) كشف الاخطار .

(٤) الكافي في باب الحسد .

٤ ــ الكبر :

الكبر في الانسان حال تعتري النفس تدعو الى مجاوزة الحد في اعظامها واحتقار الغير ، وبعبارة اوضح ، هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير .

وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث من ضيق دائرة نظر المتكبر الى نفسه ، عند ما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره ، دون ان ينظر إلى نقائصها وكمالات الغير .

وان لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ، ما يوقع صاحبه في كثير من الرذائل المستقبحة ، كاغتراره بالظلم ، وعدم احتفائه بحقوق الغير ، والحقد ، والحسد ، وعدم الانقياد للحق ، وعدم قبول النصيحة واعراضه عن الارشاد ، وغير ذلك ، مما يلجىء تكبر المتكبر الى ارتكابها والابتعاد عن مكارم الاخلاق، والى تعريفه أشار الامام (ع) بقوله « ص » : مامن أحد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه (١)

وقال ﴿ ع ﴾ : لايطمع ذو كبر في الثناء الحسن (٢)

وقال ﴿ ع ﴾ : لاجهل أضر من العجب (٣)

وقال ﴿ ع ﴾ : رأس الحزم التواضع (٤)

وقال ﴿ ع ﴾ : ثلاثة مكسبة البغضاء ــ العجب والنفاق والظلم (٥)

٥ - خلف الوعد :

خلف الوعد حالة تتصف بها النفس الخسيسة ، وتستسيغها الروح الواطئة

---

(١) الكافي باب الكبر . (٢) الكافي باب العشرة .

(٣) تحف العقول . « ٤ » البحار ج ١٧ . «٥» تحف العقول .

وهو داء نفساني اذا ما ابتلى به المرء حرم من ثقة الناس به ، وجر الى نفسه في مجتمعه ومحيطه الويل وفقد في اصحابه واخوانه التعارف والمحبة ، هذا ضرره في صاحبه ، اما اذا ما فشا ـ خلف الوعد ـ في المجتمع كان داءاً اجتماعياً خطيراً يقف سداً دون سعادة ذلك المجتمع ، وانتظام معاملاته وحصول التعاون والثقة بين افراده .

ومن المعلوم ان مثل هذا الداء العضال لتعلقه بالنفوس الواطئة لم يجد لشفائه عقار الطبيب مجالا ولا ذكاء الفيلسوف سبيلا اذا لم يردعها وازع ديني أو واعظ داخلي يقيم إود تلك النفس الخسيسة ويرفعها إلى مستوى الانسانية الفاضلة لذلك نرى الامام الصادق (ع) جاء لعلاج امثال تلك النفوس من هذا الطريق المستقيم فقال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف بالوعد (١) وقال (ع) : ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى ، من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان (٢) إلى غير ذلك كثير .

٦ ـ الحرص :

الحرص شدة الكدح والاسراف في الطلب ، وفوقه الشره ، وكلاهما داء ينتاب الروح والنفس ، بسبب غلبة القوة البهيمية على العقل ، وانحدار امامها مغلوباً ، واما الحريص المصاب بهذا الداء إلا فقير ، كلما ازداد حرصه ازداد فقره ، لان الفقر هو الحاجة ، والحريص والشره ما زالا محتاجين ، لانهما لم يقنعا بكل ما اعطيا ، ولم تفتأ نفساهما تطلب الزيادة على ما في ايديهما فهما فقيران على الدوام . وقد قيل : الغنى هو الغنى النفس وقيل القناعة كنز لا يفنى.

« ١ » كشف الاخطار . « ٢ » تحف العقول .

وعلى هذا قال الامام ابو عبد الله (ع) اغنى غني من لم يكن للحرص أسيراً (١)

وقال (ع) : من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس (٢)

وقال (ع) : الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقحم في الذنوب ، والشره جامع للعيوب (٣) .

وقال (ع) : حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان : حرم القناعة فافتقد الراحة وحرم الرضا فافتقد اليقين (٤) .

٧ — المراء والجدل :

المراء والجدل داءان مذمومان مهلكان وشهوتان باطنيتان يعتريان النفس مفادهما الاعتراض على الغير باظهار الخلل في قوله أو فعله من باب الطعن والاستحقار لذلك الغير ، طلباً للتفوق عليه ، بابراز الكياسة والمعرفة .

وهما داءان خطيران ، أقل ما يحدث في النفس منهما ، هو حصول التباغض والعداء والنفرة بين المتحابين ، وذلك مما يؤدي إلى مالا تحمد عقباه

ولقد عالجهما الامام الصادق (ع) بارشاداته القيمة ونصائحه الدينية إذ قال (ع) : المؤمن يداري ولا يماري (٥)

وقال (ع) : الجهل في ثلاث : شدة المراء ، والكبر ، والجهل بالله (٦)

ومن حديث عنه (ع) سبعة يفسدون اعمالهم ، سابعهم الذي لا يزال يجادل اخاه مخاصما له (٧) .

« ١ » الكافي باب حب الدنيا . « ٢ » الكافي فى القناعة .

« ٣ » الفصول المهمة . « ٤ » خصال الصدوق باب الاثنين .

« ٥ » البحار ج ١٧ . « ٦ » البحار ج ١ ص ٤٣ . « ٧ » خصال الصدوق باب السبعة .

إلى هنا تنتهي البحث في هـذا الموضوع الوسيع الذي لو اردنا ذكر كل ما ورد عن الامام عليه السلام فيه لضاقت به هذه الرسالة المختصرة التي اردنا الاختصار فيها والايجاز ، والتي لم يكن قصدنا بها إلا ان نقدم للقاريء الكريم اضمامة من تلك الرياض النضرة الزاهرة التي تزهو بتعاليم ذلك الامام العالم ، والمرشد الحكيم ، والمقتدى الناصح امامنا ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه الطاهرين افضل التحية والسلام مرجئين التفصيل إلى الكتب المفصلة ، ومن طلبها اهتدى والله ولي التوفيق .

والآن وبعد ان بينا لك شيئاً من طب الامام الصـادق « ع » وهو بلا ريب غيض من فيض وقطرة من بحر علومه ومعارفـه ارتأينا ان نذكر لك ترجمة أشهر الأطباء في ذلك العصر ـ أي عصر الامام « ع » ـ لما كان لهم من الاثر في انتشار الطب يومذاك ـ وبالطبع انا سنجمل تراجمهم سيراً على الطريق التي سلكناها في رسالتنا هذه .

الاطباء في عصر الامام (ع)

ليس القصد من تخصيص هذا العصر بالبحث والعناية لكونه عصر انقراض دولة وتأسيس اخرى فحسب ، ولا لأنه عصر مليء بالحوادث التاريخيـــه والوقائع الحربية والتغييرات السياسية الزمنية ، بل لأنه عصر النهضة العلمية في الجزيرة العربية ، وربوع الرافدين ، وابتداء عهد الحضارة الاسلاميـة والمعارف والعلوم العربية ، من طب وفلسفة وأدب ، وغير ذلك من الفنون التي أخذت منها أرقى ما وصل اليه الأولون من الأمم المتمدنة ، ثم قدمته بعد التنقيح العلمي والعملي ، و بعد الصقل العقلي ، لقمة سائغة مربة ، إلى

الاجيال المتأخرة ، بقوالبها العربية الجذابة ، وبيانها الفصيح الخالي من شوائب النقص والتعسف ، المشتمل على تلك الآراء الجبارة ، المطابقة للعقل والوجدان والدين والفطرة ، فقد صادفت بذرة العلوم يومذاك من مفكري العرب وفلاسفة الاسلام ، أطيب ارض صالحة أثمرت للاجيـــال المتعاقبة اشهى الثمر وامراه .

فهو ـ والحق يقال ـ كان كحلقة وصل بين الثقافتين القديمة والحديثة وواسطة العقد بين العقلية البشرية لدى الأمم السالفة وهذا العصر الحديث.

إذاً فلا غرو إذا ما خصص هذا العصر بالبحث ، واعطي من الأهمية والعناية ما هو جدير بها ، لاسيما وقد بذر الامام ابو عبد الله عليه السلام في نفوس اصحابه وتلاميذه ، والوافدين عليه من العلماء والحكماء والمفكرين تلك البذرة الطيبة ، التي أثمرت فيما بعد من الآراء السامية والحكم القيمة ، ما لم يدرك مغزاها ، ولم يصل إلى معرفتها إلا جهابذة هذا العصر الحديث بعد تقدم الطب ، واستمرار التجارب والبحث العلميين العمليين طيلة قرون وقرون . وإليك تراجم هؤلاء الاطباء الذين يرجع اليهم كثير من أسباب نشر الطب ترجمة ونقلا وتدريساً .

١ جرجيس بن جبرئيل : (١)

هو جورجيس بن جبرئيل الجنديسابوري (٢) كان في صدر الدولة العباسية وكانت له خبرة كاملة واطلاع تام بصناعة الطب ، واطلاع وافر على المداواة وانواع العلاج . وكان فاضلا ، رئيساً لمدرسة جند يسابور

(١) عيون الانباء والقفطي . (٢) وفي تاريخ الحكماء جورجيس ابن بختيشوع .

استدعاه المنصور العباسي لمداواته من علته التي عجز اطباء بغداد عن علاجها ـ وهي فساد معدته كما تقدم ـ . ولما ورد بغداد ومثل بين يديه ، اعجب به ، لحلاوة منطقه ، ورزانة عقله . ولما ذكر له العلة طمنه ، ثم عالجه حتى برىء بسرعة .

بقي جرجيس عند الخليفة مدة ، ثم أراد الرجوع إلى بلده فلم يأذن له الخليفة ، وطلب اليه البقاء في بغداد ، بعد أن أغدق عليه الأموال والعطايا ، فاضطر للبقاء في بغداد يعالج المرضى ، وفي هذه المدة التي كان في العاصمة أخذ ينقل للمنصور كتباً كثيرة في الطب الى اللغة العربية ، فعظم مقامه عند الخليفة وعند الناس .

ثم مرض سنة ١٥٢ هـ وطلب من الخليفة الرجوع الى اهله ، ليرى عياله واطفاله ، وليدفن في وطنه إذا مات ، فاذن له بعد أن خلف تلميذه ـ عيسى بن شهلافا ـ مكانه . فارسل المنصور معه خادماً خاصاً ، وامره ان جرجيس إذا مات في الطريق حمله الى اهله ليدفن عندهم كما أراد ، لكنه وصل الى بلاده حياً وبقي تلميذه بخدمة الخليفة كطبيب خاص للبلاط .

٢ ـــ عيسى بن شهلافا (١)

عيسى بن شهلافا الجنديسابوري تلميذ جورجيس جاء مع استاذه الى بغداد لعلاج المنصور ، ثم بقي بعده طبيباً للخليفة باشارة من استاذه كما مر ، ولكن هذا بدأ يبسط يده بالاذية ، خاصة على الأساقفة والبطارقة ويطالبهم بالرشى وأخذ الاموال ـ وكانت فيه شرارة وطمع .

ولما خرج المنصور في بعض سفراته ، ووصل الى قريب نصيبين .

«١» القفطى ص ١٦٥ .

كتب عيسى هذا الى مطران نصيبين يهدده ويتوعده إن منع عنه ما التمسه منه ، وكان قد التمس أن ينفذ له من آلات البيعة اشياء جليلة ثمينة ، وكتب في كتابه ، أليس تعلم أن امر الملك بيدي ، إن اردت أمرضته ، وان اردت شفيته ، فلما وقف المطران على الكتاب ، احتال في التوصل الى الربيع وزير المنصور ، وشرح له الحال ، وأقرأه الكتاب ، فأوصله الربيع الى الخليفة واوقفه على حقيقة الأمر ، فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملك عيسى وتأديبه ، ثم نفيه أقبح نفي . وهذا هو ثمرة الشر وعاقبة صاحبه .

٣ — بن البطريق (١) :

وسماه بعضهم البطريق تخفيفاً ، هذا الطبيب كان في ايام المنصور ، وقد امره المنصور بنقل اشياء كثيرة من الكتب القديمة فنقلها له ، وكان نقله جيداً ، إلا ان نقله كان دون نقل الطبيب حنين الذي جاء بعده والذي كان نقله بعد هذا هو المعول عليه لدى الاطباء والحكماء وستجد ترجمته في كتابنا — معجم ادباء الاطباء — وغيره من كتب التراجم .

٤ — فرات بن شحناثا (٢) :

طبيب يهودي فاضل كامل في وقته متقدم العهد من تلاميذ الطبيب الشهير (تياذوق) طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد كان استاذه يرفعه على ساير تلاميذه . خدم في حداثته الحجاج أيضاً . ولما كبر وشاخ صحب الامير — عيسى بن موسى — العباسي . الولي العهد أيام المنصور . وكان عيسى هذا يشاوره في كل الامور . ويعجبه عقله وصواب رأيه فيما كان

« ١ » القفطي ١٦٩ ، « ٢ » عيون الانباء ١٦٢ .

ينذره به أيام خلافة المنصور . فكان عيسى يتذكره بعد وفاته كل ما وقع له شي من الامور التي كان ينذره بوقوعها . ويقول : سقى عهدك أبا فرات كأنك كنت شاهداً يومنا هذا .

٥ — موسى بن اسرائيل الكوفي ١

هـذا الرجل طبيب من أهل الكوفة ولد سنة ١٢٩ وتوفي سنة ٢٢٢ هج خدم في اواخر ايامه أبا اسحق ابراهيم بن المهدي . واختص بخدمته وتقدم عنده . وله ذكر مشهور بين الاطباء . وكان قليل العلم بالطب اذا قيس بمن كان في وقته من مشاهير مشائخ المتطببين . إلا انـه كان املأ لمجالسه منهم لخصال اجتمعت فيه . كفصاحة اللهجة ، مع علم بالنجوم ومعرفة بايام الناس ورواية للاشعار .

وكان ابو اسحق ابراهيم يحتمله لهذه الخلال ، ولانه طيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادموا الملوك .

وكان ابن اسرائيل هذا في حداثته بخدمة الامير عيسى بن موسى العباسي وكان قد خدم معه المتطبب اليهودي فرات بن شحناثا ، وهـو يروي ، عنه اي عن فرات حكايات كثيرة من مشاورات عيسى له و ارشاداته بالآراء الصائبة .

قال الطبيب موسى (٢) : لما عقد المنصور لعيسى بن موسى على محاربة (محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي) وسار باللواء من داره ، قال لفرات : ماتقول في هذا اللواء ؟ قال المتطبب : أقول انه لواء الشحناء بينك وبين اهلك الى يوم القيامة ، الا اني ارى لك نقل اهلك من الكوفة الى أي البلدان أحببت

«١» القفطي ٢٠٨ (٢) كما في عيون الانباء ج ، ص ١٤٨ .

فان الكوفة بلد أهلها شيعة من تحارب ، فان فللت لم يكن لمن تخلف بها من أهلك بقيا ، وان فللت واصبت من تتوجه اليه ، زاد ذلك في اضغانهم عليك فان سلمت منهم في حياتك ، لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك ، فقال عيسى : ويحك ان أمير المؤمنين غير مفارق الكوفة فلم انقل أهلي منها ، وهم بعد في داره ؟ فقال ان الفيصل في مخرجك فان كانت الحرب لك فالخليفة مقيم بالكوفة وان كانت عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب منها ويخلف حرمه فضلا عن حرمك .

قال موسى الطبيب : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغ المنصور له ذلك ولما فتح الله على عيسى ورجع الى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبدالله انتقل المنصور الى مدينة دار السلام فقال له متطببه : بادر بالانتقال معه الى مدينته التي قد احدثها فاستأذن المنصور بذلك فاعلمه انه لا سبيل اليه وانه قد دبر استخلافه على الكوفة فاخبر عيسى فراتاً متطببه بذلك فقال له فرات : ان استخلافه اياك على الكوفة حل لعقدك على العهد لانه لو دبر تمام الأمر لك لولاك خراسان بلد شيعتك فاما ان يجعلك في الكوفة بلد اعدائك واعوانه وقد قتلت محمد بن عبد الله فوالله ما دبر فيك الا قتلك و قتل عقبك ومن المحال ان يوليك خراسان بعد الذي ظهر منه فيك فسله توليتك الجزيرتين أو الشام فاخرج الى اي الولايتين ولاك فاوطنها ، فقال له عيسى : أتكره لي ولاية الكوفة واهلها من شيعة بني هاشم وترغب لي بولاية الجزيرتين أو الشام وأهلها من شيعة بني امية ، فقال له المتطبب أهل الكوفة وان وسموا انفسهم بالتشيع لبني هاشم فلست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم ، وانما تشيعهم لبني ابي طالب ، وقد اصبت من دمائهم ما قد اكسب اهلها بغضتك واحل لهم عند انفسهم الانقياد منك ، وتشيع أهل الشام والجزيرتين ليس

على طريق الديانة ، وانما ذلك على طريق احسان بني امية لهم ، وان انت اظهرت لهم مودة متى وليتهم ، واحسنت اليهم كانوا لك شيعة ، ويدلك على ذلك محاربتهم مع عبد الله بن علي على ما قد نال من دمائهم ، لما تألفهم وضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك اسلامتك من دمائهم اقبل .

قال موسى الطبيب : واستعفى عيسى من ولاية العهد ، وسأل تعويضه عنها ، فاعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، لا يمكن ان تخلو من خليفة او ولي العهد ، و وعده ان يقيم في مدينة السلام سنة ، وفي الكوفة سنة وانه اذا صار الى الكوفة ، صار عيسى الى مدينة السلام وأقام بها .

قال : ولما طلب اهل خراسان عقد البيعة للمهدي ، قال عيسى لمتطببه يافرات قــد دعيت الى تقديم محمد بن أمير المؤمنين على نفسي . فقال له فتوقع ما ارى ، ان تسمع وتطيع اليوم وبعـد اليوم ، قال عيسى وما بعد اليوم ؟ قال : اذا دعاك محمد الى خلع نفسك ، وتسليم الخلافة الى بعض ولده ان تسارع ، فليس عندك منعة ، ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك

قال موسى فمات المتطبب فرات في خلافـة المنصور ، ولما دعى المهدي عيسى الى خلع نفسه من ولاية العهد ، وتسليم الامر الى الهادي ، قال قاتلك الله يافرات ، ما كان أجود رأيك واعلمك بما تتقومه كأنك كنت شاهد يومنا هذا .

قال موسى : ولما رأيت ما فعل ابو السرايا بمنازل العباسيين في الكوفة قلت مثلما قال عيسى في فرات :

٦ — خصيب المتطبب (١) :

كان خصيب هذا طبيباً نصرانياً من اهل البصرة وكان مقامه بها ذكره

(١) عيون الانباء والقفطي .

ابن ابي اصيبعة فى عداد الأطباء الذين كانوا فى ابتداء ظهور بنى العباس وكان فاضلا فى صناعة الطب ، جيد المعالجة .

حدث محمد بن سلام الجمحي قال : مرض الحكم بن محمد بن قنبر المازني الشاعر بالبصرة ، فاتوه بخصيب ليعالجه فقال فيه :

ولقد قلت لأهلي اذ اتونى بخصيب

ليس والله خصيب للذي بي بطبيب

انما يعرف دائي من به مثل الذي بي

وحدث ايضاً محمد بن سلام فقال كان خصيب الطبيب هذا نصرانياً نبيلا ، فسق محمد بن ابي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة ، فمرض منها ، وحمل الى بغداد ، فمات بها ، فاتهم خصيب وحبس حتى مات فى الحبس .

٧ - ابن اللجاج (١)

قال القفطي : طبيب مذكور كان فى زمن المنصور من بني العباس و لما حج المنصور حجته التي مات بها كان اللجاج المتطبب هذا فى صحبته .

وقال ابن ابي اصيبعه : قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني اسماعيل ابن ابي سهل بن نوبخت ، ان أباه أبا سهل حدثه : ان المنصور لما حج حجته التي توفي فيها ، رافق ابن اللجاج متطبب المنصور ، فكان متى نام المنصور تنادما وذات يوم سأل ابن اللجاج ، وقد عمل فيه النبيذ ، ابا سهل عما بقي من عمر المنصور (حسب النجوم طبعاً) . فقال اسماعيل : فعظم ذلك السؤال على والدي ، وقطع النبيذ وجعل على نفسه ان لاينادمه ، وهجره ثلاثة ايام ، ثم اصطلحا بعد ذلك فلما جلسا على نبيذهما ، قال ابن اللجاج لابي سهل : سألتك عن علمك ببعض الامور ، فبخلت به وهجرتني ، ولست ابخل عليك بعلمي ،

(١) عيون الانباء ج ٢ والقفطي .

فاسمعه ، ثم قال : ان المنصور رجل محرور ، تزداد يبوسته في بدنه كل ما أسن وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غاليـة ، وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي فى تركها ، ولا أحسب انـه يبلغ (فيد) حتى يحدث في دماغه من اليبس مالا يكون عندي ولا عندأحد من المتطببين غيري حيلة فى ترطيبـه ، فليس يبلغ (فيد) (إن بلغها) إلا مريضاً ، ولا يبلغ مكة (إن بلغها) وبه حياة .

قال اسماعيل قال لي والدي : فوالله ما بلغ المنصور (فيد) إلا وهو عليل وما وافى مكة إلا وهو ميت ، فدفن ببئر ميمون ؟

—(انتهى الكتاب)—

فهرست مواضيع الكتاب


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Sept.—Oct. 1987
We're Quality Bound

